أقنعة الصفاقة المدهشة

قصص

عبد الفتاح مرسى

(الطبعة الأولى)

دفقات للنشر

ت:٠٣:٥٤٨٨١٥٢

- أقنعة الصفاقة المدهشة
- قصص
- الطبعة الأولى سبتمبر ٢٠٠٣

ت:٠٣:٥٤٨٨١٥٢
- المراسلات: ٢١ ش أحمد العوامرى سيدى بشر الإسكندرية
(المركز المصرى للتكوين المعرفى
جمعية مشهرة برقم ١٢٥١ مقرها الرئيسى
٥٥ ش أحمد فتحى جليم الإسكندرية)
- لوحة الغلاف للمثال/ محمد رزق
- رقم الإيداع: ١٥٩٥٦/٢٠٠٣م
- الترقيم الدولى:

دوار البحر والشطوط

□ أنقشعت تلك التهاويم السابحة فى تلافيف عقله، حين إندفعت الحرارة من أمعائه إلى رأسه.. تسربت كثيراً من الأفكار التى كانت تضغط على جدران علبته، دخان محتبس يهرب من شقوق كوخ من البوص وأوراق الشجر، بدت العلبة الصفيح فارغة. ومنذ قليل كان لحركة الحصى بداخلها وتصادمه، ضجيج شخشيخة لطفل مزعج [أنا لا أشرب الكونياك، فما بالكم بالويسكى؟.] ضجوا بالضحك، لم يكن ثمة مبرر كاف لهذا الضحك. وضعت فى كوب البيرة قطع من الثلج مثلهم، وأنصرفت لتناول أصناف المزّة دون أن أعب نصفها كما فعلو.. عادوا يتضاحكون.. فضحكت وتجرأت على تقليدهم.. دلقت الكوب فى فمى حتى أصدرت صوت المصمصة، فنظر إلى "جابر" يشجعنى، وبادر يصب باقى زجاجتى فى كوبى مع شئ من الاهتمام، فلم ينتابنى الضحك، جلست أرقب ذلك الشخص الذى كنت أواريه خلف رأسى، أدفنه تحت كومة من المشاغل والهموم.. أطل برأسه المستطيل، وجبهته الضيقة. وشعره الناعم الذى يزيحه بأصابعه من حين إلى آخر فى دلال أنثوى.. كنت وأنا جالس على الشلتة، لا أستطيع رؤيته كاملا، إذ أنه كان بعيدا، يفصله عنى جدار المكتب العالى المزدحم سطحه الزجاجى الأخضر بالأقلام المنصوبة، والطقم الألبستر، والطقم الجلدى المبرقش كجلود الثعابين، وأجهزة الاتصال، والتليفونات تحت كوعه، وأنا كعقلة الإصبع فى حواديت

جدتى،التى مارستها أمى فى تشكيل ذهنى،أتوه فى الزحـــــام الذى فوق المكتب العالى، وعلى مسافة بعيدة.. بعيدة، بيـــن الحافة التى لاأجرؤ على الإرتكاز عليها، وحافتى التى تبتعد بقدر المسافة التى جعلته هو فوق، وأنا تحت. هـــو علـــى المقعد العالى الظهر، يدور به دورة كاملة، وأنا على المقعد الخشبى الذى لا ظهر له،ومع ذلك كان رؤوفا بى.. إذ جعـــل العملاق صاحب الكف الضخمة بصورة غير عادية،ينصرف من خلفى،وينتظر عند باب غرفة التحقيق، كان مجرد وقوفه خلفى يكبسنى ويقزمنى، تنفست الصعداء فى ارتياح مؤقت، رأيته يبتسم تلك الإبتسامته المبهجة "!" كانت أصابعه طرية، وإذا وضع يده فوق يدى. كانت باردة، تبعث فـــى أوصــــالى رعدة الشتاء الزمهرير.. وكان يتحدث كثيرا، وكنت منكسر الطرف، مشتت الذهن، أحصر همى كله فى أصــــابع يديـــه، وأظافرها الوردية.. لا يمكن أن تكون هذه الكف إلا لإمــــرأة مفعمة بالأنوثة، منعمة، لم تدخل مطبخا، ولم تغسل ملابس، ولا مواعين..!

-- هنا وهناك، واحد، إثنان، ثلاثة.. إذا لم تتحدث حتى نتفرغ لغيرك طلبت لك "البرادعى. "عندما يذكر اسمه عرضا يدخل البرادعى ويقف فى مكانه خلف رأسى بــــالقرب مـــن عنقى الذى يثيره.." "الأعناق العارية تثيره بشدة، ويده دائما تأكله، فلا يكف عن الصفع، هـــذا غرامـــه الوحيـــد رغـــم تحذيراتنا له، وتكرار توقيع الجزاءات عليه"
[كان لابد وأن يكف.. بدلا من أن ينفث رشاش المســـحوق الذى يقتل الصراصير التى لا تخرج إلا فى الظلام، تختبـــئ فى الشقوق البعيدة.. كان يصوب رشاش المسحوق الســـام إلى أنفى.. كانت فوهة المسدس مصوبة نحو رأسى، يهمس فى صوت ناعم، صوت أمرأة أستيقظت تواً من النوم الهانئ "هل أضغط على الزناد؟"

أم أنك ستتكلم؟
أنظر، أنا أمد لك حبال الصبر
"أنظر فلا أجد إلا الحبال التى تلتف حول عنقى
"الأمر لن يكلفك شيئا، سنجعل ظهره نحو الباب، وسنترك لك الباب مفتوحا. ستمر وتشاهده. ما عليك إلا أن تهز رأسك بأنه"هو" الذى كان يأتى اليكم، وبعدها "ستوقع" وتنصرف و....

• كانت عيناه جميلتان، وقاسيتان. وكان وجهه أبيض ووجنتيه مشربتان بالحمرة كأهل الشمال البعيد.. كنت إذ تأملت شفتيه وأسنانه البيضاء المتساوية.. وأصابع يده التى تتخلل شعر رأسه الأسود الناعم -من حين لأخر- خلت أنه أنثى لها دلالها وحوارها مع شعرها.. وكان أصبعه دائما فى عينى "مسدسة" دعوة لمصاحبته إلى آخر مدى "عاهرة"
كنت قد جئت إلى هذا الحفل -المختلق- من أجل النسيان.. ولكن النار التى اشتعلت بجوفى جعلتنى أبسط ساقى أمامى، وأسحب ظهرى، فأنام. مما أتاح لى رؤية حذائه الأسود اللامع، يجمع بين رقة الذوق، ومتانة الجلد الطبيعى، كان يكرر :
"سأسحقك بحذائى.. تحت نعل حذائى. هذا ..
ويتيح لى الفرصة بأن أشاهد الحذاء.. "فأجده شكربين باريسى هوانمى على الموضة!"

• لم أكن أتصور أنى حشرة يمكن سحقها، كانت طاقتى أكبر من ذلك بكثير، وكانت إرادتى تتفشى بداخلى فتجعلنى أستهين بما حولى، وربما جاشت بى رغبة أن أضحك لشعور داخلى يخوض نصفه فى مخاضة من الهزل.. وبقايا ضحكة متقطعة خبيثة، آه لو أنى تمكنت من النزول

تحت المكتب وربطت رباط فردتى الحـــذاء ربطـــة محكمـــة سريعة- وأبتعد-فى الغرفة الخالية بضع خطوات إلى الخلف، فإذا ما قام خلفى من وراء المكتـــب، أنكفـــأ ســـاقطا علـــى وجهه.. اندفع إلى معاونته فى الوقـــوف، أتعـــثر وأســـقط فوقه.. أعتليه.. فيكف عن الحركة ويهمد.. سأطلقه فوقـــه المسدس، سأطلقه فى أسفل ظهره.. إذا ما دخل علىّ،كـــان يتطوح فى دلال أمرأة تعرف مقدار حب عشيقها لها.. أيـــن تعلمت هذه المشية المخاتلة؟ هل وضعت فوق رأسك كتابـــا ثقيلا وسرت على خط وهمى؟.. وعندما يتكلم فهـــو يتكلـــم مثلهن.. وأندهش لقسوة المخنثين، من أين يـــأتون بهـــذه القسوة الفظيعة. يا للمنطقة الوســـطى مـــن غرائـــب. الآن سأقف عند الباب.. وأهز وسطى رافعا يداى حـــول رأســـى، مطرقعا بأصابعى، "على واحدة ونص". "القرارات قد صدرت بأنشاء منطقة حرة، منطقة وحيده حره، ممنوع أن يفكر فى إمتلاكها أحد.. المناطق الحره تعنى أنها منطقة منزوعة من أصحابها الحقيقين.. الخطوة الأولى أن يمتلكهـــا الأقـــوى.. وعلى الأصدقاء الأوفياء أن يفكـــروا فـــى الاســـتفادة مـــن المناطق الحرة فى بلادهم.." تلكأ هذا الخاطر فى ذهنى، ثـــم هرب طائرا كذبابة زرقاء إلى شق فى الســـقف المهـــترئ.. سحب معه كثيرا من الضحكات الجوفاء التـــى كنـــا نتلـــذذ بامتصاصها بعد الكوب الخامس.. الخمر تحولت إلـــى هـــذه القطرات التى تتلألأ فى قعر الكوب.. أعترف بأنى لا أشرب إلا فى الملمات، والمصائب.. بديلا عن الإنتحار.. أو أنفجار يصيب منطقة رخوة، فأسقط بالفالج مثل صديقى الذى أقسم بكل المقدسات بأنه برئ.. لكن الرجل المخنث الجميـــل ذى الصوت الرخيم لم يصدقه..أهى صدفه سيئه أنه لم يصدقـــه فأمر البرادعى الذى لا رأس له، أن يزيد العيار شرطتين لا أكثر.. يا للقلب الرحيم. لكن "البرادعى" ضاعف الشرطتان.. ففقد صديقى سقفه، وصارت رأسه منه إلى السماء بـــدون

حائل، ذلك حدث من أجل ليلة العرس المؤجلة- ليلة الزفاف التى لم تتم. والعريس الذى لم يقدر على جمع مصاريف الزواج، من أجرة المأذون التى تضاعفت عشرات المرات إلى إيجار الشقة المستحيل.. ناهيك عن ثمن الأثاث والأجهزة. وخطيبة صديقى كانت تؤمن بأن "عش العصفور يكفيهما، ولقمة صغنونة تغذيها". لذا آثر (جابر) أن ينفق على الزملاء الأعزاء بعضا من النقود التى لاتريد أن تكتمل، ولاتريد أن تصل إلى ثمن شئ محدد.. فلن يضيرها أن تنقص قليلا، فهى على أية حال لن تحقق الغرض.. لذلك كان "جابر" أكثرنا مرحا وهو يميل ويدخل برأسه تحت الترابيزة ثم يعتدل، وبيده زجاجة زرقاء أو حمراء- مسرورا بأن الليلة تمضى ولم يسخر أحد من سيارته القديمة، التى يجلس فيها أمام عجلة القيادة ويطلب من المارة أن يزقوه - زقة للنبى- حتى نصل إلى المكان المقرر سلفا- يشد فرامل اليد، ويشكر الجميع،ويمنحنا ورق المناديل المعطر لتجفيف العرق.. لم يذكر أحد من الأصدقاء أنه سمع ذات مرة صوت موتور سيارة صديقنا جابر، صاحب الدعوة والحفل الذى يقام بلا ضرورة- مناً أو منه- فأنا شخصياً لم أكن فى هذه الأمسية بالذات فى حاجة إلى أن أغيّب عقلى. كان يكفينى الإستمتاع بالصحبة والسير على شاطئ البحر، أو بالقرب منه، إذا حالت الأمواج دون فعل ذلك. وأيام الشتاء السكندرى تفوق فى روعتها أمسيات الصيف. زائد الرطوبة، خانق الحرارة.!

• "حسنا، سنستريح قليلا، ثم نتكلم عن الأشياء الجميلة التى يفرط فيها الناس بسهولة، دون وعى بقيمتها الحقيقية، الكلام، نعم الكلام. الذى لا يكون مفيدا. ولكنه يكون حميمياً وممتعا.. نعم، نحن نشعر بالتعب والاجهاد.. لكن لماذا تترك أيادينا فارغة؟ أعطنى كوبا آخر يشغل يدي..

وأعطنى يد صديق أضعها بجوار القلب، ونتجاذب معا أطراف الحديث، أى حديث سيكون رائعا، وأغلقوا أبواب المواخير والبيوت التى تقدم المتعة الحسية، تحت تهديد مرض فقدان المناعة. أنها متعة قصيرة الأجل، وان كانت ضروريةتلح وتخترق كافة الحواجز.. أدعوكم لاستمرار تجاهلها مؤقتا.. فإن المتعة الدائمة أن يكون لك صديق، ويا سلام لو كانت صديقة- يا خبر أبيض إذا ما كان لك أصدقاء، دعهم يخترعون سيارات السباق الرهيبة والطائرات الصاروخية والمقاعد المتحركة للمعاقين.. سوف تسير كل هذه الاختراعات قريبا جدا- بفعل حرارة القلوب، نعم، يمكن أن يظهر أختراعى هذا قريبا.. إذا ما وجدنا بعض من حرارة القلوب الصادقة.أدعوكم لأستغلال تلك الطاقة الذرية الجديدة،التى تنبعث من قلوب البشر، إذا ما خفقت بالحب والصدق.. بالعشق والوله...

•.. فى تجربتى الفريدة، تجربتى الأولى الشيقة، كنت أرتعد- أسأل، من وضع فى صدرى قطعة كبيرة من الآيس كريم.. لا أحد.. أنه شئ من التوجس والرعب، فلم تتحرك أى سيارة إلا بالزق.. زقة من أجل الإنسانية.. زقة للنبى الغالى. وكان يضايقنى أن عجلات المعوقين لن تتحرك، وكنت أتمنى أن يكون هذا الإختراع من أجلهم، فهم الذين ضحوا وأقدموا على الفعل وسقطوا فى المنطقة الوسطى البشعة، لم يموتوا ولم يعيشوا.. الإختراع، غير الكشف.

الكشف يكون لأشياء موجودة وتائهة عنّا فنعثر عليها.. أما الإختراع فأنه من أشياء قديمة تؤلف علاقات جديدة كانت معطلة..

وقياس المتانة ليست فى الماركات العالمية- فهى محلية جداً عندهم.. قياس المتانة فى التخطيط الدعائى الجيد، لكى لاتنسى مطلقا وتشترى.الأفضل قياس المتانة فى تلك الخفقات الحارة التى تتبدد هباءاً.. عندما أرى عيونهم..

وآه من تلك العيون، جعلتني أنسى نفسى، وأيامى التى تسير فى خط مستقيم بشع.. الخطوط المستقيمة عديمة الــزوق.. أتفوو على الخطوط المستقيمة، فأنها تذكرنى دائمــا بهــذه الأسياخ الحديد التى كانت تفصل بيننا وبين مــن نحبهــم.. وكنت إذا ما رأيت زميلتى أندهش.. وكنــت أندهــش كــل صباح، والدهشة تصبغ الصباح بلون الورد البلدى، وكنــت أذهب إلى العمل من أجل لون الورد البلدى- وكنــت أطبــع قبلتى على الغمازة المفحورة فى الخد الناعم، وأرتجف باقى الساعات الأربع والعشرين، وأسأل نفسى:

"متى تستيقظين من نومك يا بنت الإيه لتستعدى للذهاب إلى عملك؟ من الموكد أنت تستيقظين فى الثالثة صباحاً، فــأنت تحتاجين من أربع إلى خمس ساعات حتى ينبعث من عينيك هذا الألق الأخاذ. متى تصنعين هذه البهجــة، وأنــا أتــرك زوجتى بعيونها المنتفخة نائمة وغطيطها يودعنى على باب الشقة، أقول لها "المنبه لن يضرب جرسه مرة أخرى، فهو ليس مثلنا يكرر نفس الأعمال تلقائياً. وأن الوقت قد حــان للقاء تلاميذك العفاريت، فإذا قامت تثاءبت، لعنت العيشــه والشغل والعيال ودور الحضانة والبقالين وأصحاب مخــابز العيش البلدى والأفرنجى"!

• .. كفى.. كفى أنا أسكر من كوب البيرة- أنا قلت لكــم لاتضعوا فى كوبى الكونياك المغشوش.. كلكــم تعرفــون أن السلع الغذائية التى ارتفع سعرها أخــيرا هــى الســجائر.. وأضرار السجائر معروفة للجميع، فهم يكتبون عن أضرارها بخط رفيع لايرى لمن ليس له نظارة مكبرة. أنا أنصحكم أن لاتستمعوا لمروجى الاشاعات، من يدّعون أن هبة الغضــب كانت من أجل ارتفاع أسعار بعض السلع.. فإن جميع السلع أصابها سعار الغلاء ولم يهب أحد غضباً- فى ظنى أنا.. إن رجال الحكومة العواجيز طيبو القلب.. ولطيبة قلوبهم يودون

اطالة أعماركم.. فهم إذا ما رفعوا أسعار الدخان وعجزتم عن شرائه، ستطول أعماركم، وستطول مطالبكم، وكما ترون فالحكومة غير عدوانية، ولا تضمر لكم سوى الخير، واذا كانت تضمر لكم الشر، لتركتكم تموتون بكتمة النفس.. أنا الآن أتجرع الكونياك كواحد من المدمنين.. أتجرعه.. تتبدل ملامحى.. ثم أمضغ شريحة بطاطس فى هدوء.. وأستطيع أن أذهب إلى دورة المياه، أتحامل وأتماسك ولكن أخشى أن أتوه فى سراديب الفيللا.. لكن ليس هذا المكان بفيللا فليكن شقة.. من المؤكد نحن فى شقة.. لكننا كالعادة نتكوم فى كبسولة فضاء ضيقة.. ثمانية أشهر لثلاثة من الرواد يدورون حول الأرض فى الفضاء اللانهائى، فى كبسولة مثل هذه الغرفة المعبقة بالدخان، والآراء، والضحكات والهبات الهستيرية، والخطب، والشتائم، والعتاب المبلل بالدموع الداخلية!

... زنازين السجون هى كبسولات لأقمار لا تدور فى الفضاء، ولكنها تدور فى الحوارى والأزقة والميادين المزدحمة والمقاهى المكدسة بمن ليس لبيوتهم صالات للجلوس لإستقبال الأطراف الأخرى التى تتفضل وتسكت قليلا لتسمع.. هؤلاء الذين يصمتون عن الكلام، ليمنحوا الآخرين الفرصة..

"أرجوك أمنحنى فرصة لأعبر بها عن رأيى".. أنا أيضا أعانى من الأشواق.. فى أعتقادى أننا قد ضربنا الرقم القياسى وتفوقنا على الرواد الروس. لابد من لفت نظر الصحافة بأن البطولة المنسوبة لرواد الفضاء الأمريكان ذهبت إليهم بالخطأ -فالكبسولة الخاصة بهم مجهزة بأسباب المعيشة- والعلماء على اتصال دائم بأدمغتهم . والبرنامج العلمى وضع ليزحم أوقاتهم بالتسلية، والعمل، والراحة.

بينما نحن فى كبسولتنا.. وحدنا.. والموجة بيننا وبين الناس مقطوعة. ولا أسباب للراحة، بل إبتكارات شيطانية لعدم حصولنا على أى نوع من الإستقرار حتى لانفكر فى العودة إلى الدوران حول الحقوق والواجبات..هئ هئ هئ.
لا، أنا لا أبكى.. والدموع دموع الإنبساط..
• أنت وصلت يا بطل..؟
أعطنى يدك، لابد وأن تقوم بعبور البحر إلى بيتك، لتلحق بمباراة كرة القدم فى التليفزيون هاها هئ هئ
ثبت عقلك فى رأسك.. أنا لا اشاهد إلا المباريات التى يكون طرفها من الأقاليم- فالنتيجة للجماعتين الكبيرتين هى التعادل.
مهلا.. أنا لا أركب اللنشات السريعة فى المساء، لأنى تعلمت العوم نهارا،ولابد أن أتأكد، هل يصلح عوم النهار فى الليل؟
لكن اللنش السريع الذى كان يقذف خلفه الأمواج العالية ويندفع، كان يشبه سيارة "جابر" القديمة التى تسير بالزق.. دوار البحر، اللعنة، الثعبان يتحرك فى أمعائى، ضايقنى أننى لأستطيع تحريك كتفاى بسهولة، بين الكتفين القويين، المحشور بينهما..

– دعونى أخرج إلى سطح اللنش، أشم نسمة هواء باردة تقتل هذا الثعبان..
أميل على سطح البحر حتى أجعل وجهى يلامس المياه..
لا أرجوك يا جابر.. لاتتوقف باللنش فى عرض البحر.
"جابر من..؟ جابر تعيش أنت!!"
"جابر صديقى.. جابر الذى دعانى إلى سهرة خاصة.. ما معنى.. تعيش أنت؟!"
الأمواج ترفعنا وتسوح بنا.. اللنش يتمايل.. ما فى جوفى سينسكب من حلقى.. يا رفاعى مدد..!

"كبح اللنش بقوة.فكانت له رجة عنيفة.. عندما أخرجت شبئاً فوق إقدامى.. أنتفضا الكتفين القويين، كأنهما يعصراننى.. كنت متيقنا أن سيارة جابر لاتسير ولاتفرمل.. وأنها وجدت من أجل أن نزقها ونشبعها تريقة.. لكنها بقدرة غير عادية، كانت تسير فوق موج البحر الهادر، يتصادم بزجاج النوافذ.. ودرجة حرارتى كانت عاليه.. وأنا أركب البحر مساء . من سيدى بشر إلى حدائق الشلالات..
ندور حول الحدائق.. بحثا عن شط معين..!

نانا والوزير الذى يحب
الشاى بالحليب

٠٠ليل الربيع فى معظمه، ينقش سطح المساء بالحناء فيتآلف مع اللقاء الحميم بين الدوائر السفلى والمستطيلات المملوءة بماء الحياة.

والليل هنا يعتصر ساعات المساء بين النقش والنقش. لعله يتشرب أولى خيوط الشمس الذهبية، ليحيل ذرات الهواء رسائل محملة بالخصب وبذور التذكير.. التى عادة ما تتوجع منها العيون المفتوحة على اتساعها وتلتهب!

٠٠العيون المفتوحة على اتساعها هى التى تلتهب.. أما العيون المغمضة.. فهى مقفلة، وتستمر مقفلة عن الربيع، فلا يطولها الخصب أو التخصيب.. ويظل أصحابها فى جدب!
ويقال فى المأثور:
".. إن العيون المفتوحة -بقدر آلام الاستقبال- يستمتع أصحابها بلذة الإرسال.. إذ أنها تتلقى الرسائل الحيوية.. عندما يكون لها الشكل اللوزى، والندى الرطيب، والأهداب الشائكة، وتلك اللمعة الآسرة التى تتحول إلى نافذة، يطل منها العاشق أو يطلون عليه..
ويقال: أن المفكرين يطلون منها دائما- يشغلونها- فلا يستطيع أحد أن يطل عليهم!

.. والمكان المشغول قد تكتنفه بعض المخلفات، لذا فإن البعض لاينسى اصطحاب زجاجات "قطرة العين الصغيرة" فى حقائبهم المزدحمة بالأوراق والمذكرات.. والكتب.. بجانب إحتفاظهم بالنظارات السوداء الكبيرة- التى ينامون خلفها فى إغفاءات قسرية أمام (الرؤساء) الذين لايعدون خطاباتهم بأنفسهم، فيبرع الأتباع فى تطويل وتوليد الفقرات.. المعادة.. فيما لاطائل وراءه!

..وإذا وجب الحضور لمن لاحيثية له، قيراطا، فان.. المفكرين وأصحاب المناصب العليا- الذين وصلوا إلى تلك المكانة بصعوبة، وجب عليهم "الحضور" وعيونهم مفتوحة أربعة وعشرين قيراطا..
لذا،كان أهتمامهم بعيونهم.. التى هى ركائز التطلع إلى البيانات الدقيقة.. والتى ستكون قواعداً لصروح أفكارهم.. والتى قد يختارون من أجلها.. وزراء،وأساتذة للجامعات، ومحاضرين مركزيين!
وفى كل خطوة.. تتراكم خطوات جديدة من أجل الاستمرار فى بناء الصروح،وخاصة إذا ما كانت صروحا تأتى بالمكانة المصحوبة بالثراء..

.. وبعض هذه الصروح سيكون غامضا بالقدر الذى يحتاج إلى سلسلة من المفكرين للتوضيح، والإضافات المطلوبة فيما بعد.. والتى إذا ما احتاجت هى الأخرى للتوضيح- تنتعش الحركة الثقافية والفكرية.. نشراً.. ولقاءاتا.. وإذاعة..
حتى ولو كانت هذه الصروح متهالكة، وستنهار فور سفر الأستاذ الجامعى فى إعارة- أو إقالة الوزير فى التعديل الوزارى المحدود- الذى يطيح عادة بالبعض، ويبقى على البعض، وكأن العمل يقوم على الاجتهادات الفردية، وليس

محكوما بسياسة معينة،وجب على الجميـــع التكـــاتف فـــى تنفيذها..!

.. وفى ذلك نوع من التضارب الذى نتجاهله ونستريح، أيا كان.. فإن ما يقيمه المفكرون أصحاب المناصب والعيون، والنظارات، والمذكرات- فى سنوات البناء.. طوبـــة فـــوق طوبة.. قد يطيح به "ليل الربيع" متقلب العواطف، عـــاصف المزاج. ذلك الليل الذى يحث العاشـــق ليلتقـــى بعشـــيقته.. ويتغاضى عن الزوجة الشرعية جداً.. إذ يبقيها مصونة لليل الشتاء الطويل،قارص البرودة.

.. فى حالة من تقلبات ليل الربيع.. نـــزل وزيرنـــا الهمام من الهم الجمعى. إلى الهم الشخصى.. دون فـــاصل كبير، وإليكم الحكاية.. وحواشيها.

****

• كان ما يشغل وزيرنا الهمام وهو يمـــر بمنتصـــف العمر الثانى الذى تألق فيه، فصعد نجمه سريعاً- كيف يتم إقترانه بابنة صاحب الفضل- وما صاحب الفضـــل إلا مـــن يملك المال الوفير الذى يسد له به .."الثقوب" ويعبد له به.. "الطريق". ويعزز له به،"مكانته" داخل وخارج دائرة الحكام..!

.. والطريق إلى "المجلس" و "الوزارة" من الضـــرورى أن يفرش بالبنكنوت ..
الوصول إلى المجلس يتكلف ثروة- إذا ما كـــانت الـــثروة منهجاً للحكم. والوصول إلى الوزارة يتكلف أكثر من ثروة لابد وأن يحالفها الحظ..
وابنة صاحب الفضل تشبه بنت البنـــوت، بســـبب الـــثراء الشديد الذى يواجه صرامة الزمن بالضحك.. وشراء ليـــالى

السحر، والونس،فى أماكن المرح غـــير المقيــدة بفتــاوى الأصوليين ".. هناك كل شئ مستباح.."

والمرأة التى تشبه بنت البنوت.. مدللـــة، وتعيــش عيشه الأمراء. -إذا ما تأملها أى شخص من الخـــارج لــن يصدق بأنها- تزوجت من زيجتين، سابقتين.

زواج نانا الأول "غير الشرعى"

• حدث مبكراً.. وهى تغادر مرحلة الصبا، وتســـتقبل مرحلة الشباب.. تلك المرحلة.. القلقة المزعجـــة.. والتـــى فيها تكون القرارات المصيرية مشـــوبة بعاطفـــة هوجـــاء. والعاطفة تكون هوجاء أكثر إذا ما تشبهت ببنـــات أوربـــا المتحررات.. وهن هناك.. لا يحملن نون النسوة، ويندفعـــن فى تجارب لإثبات أن لا فرق بين ذكر وأنثى. فتجرب الفتاة كما الشباب يجرب. ترتدى ما يحلو لها. وترافق البوى فرند بتاعها.. إلى الغابات والجبال. تنام فى أحضانه الدافئة مـــن البرد الزمهرير.. فتشعر بالدفء الذى يكون أهم كثيراً مـــن معتقدات وثوابت البلاد التى تطارد أهلها الشمس.. وتقتلهم الحرارة.. قلدت نانى.. "البنت مارى" وتخلصت من الـــتزمت الشرقى غير المبرر.. فإكتسبت جرأة الفعـــل ورد الفعـــل.. وشئ من الحرية التى تم إعتقالها فى الطائرة العـــائدة بهـــا إلى بلادها.

•• لكن "الطيار الشاب" كان ودوداً ووســـيماً.. وكـــانت هى تشجعه.. ودت أن تمر بالتجربة وهـــى فـــى الفضـــاء -لكن الطيار مهد للتجربة وأتمها علـــى "الأرض".. ولأنـــه طيار يفعل المستحيل لإسعاد المسافرين.. فقد طـــار.. إذ ود أن تبقى العلاقة بينهما بين الأرض والسماء. معلقة دائماً..

لذا فإن الزواج الأول غير الشرعي يشبه حالات العشق ويغلف بالصداقة التى يكون الشيطان ثالثهما.

زواج نانا الثانى "الشرعى"

● وتلك الزيجة كانت غارقة فى طقوس الزيجات الكبرى.. ورئيس خدم الفندق الكابتن كوكو.. يقرأ من الدستور الجديد.. ويشرف بذات نفسه، على تنفيذ بنوده.. خطوة.. خطوة.. منذ أن عزفت الموسيقى وتم تقديم.. نمر.. إستقبال العروس، حتى رقصا معا تحت الطرحة التل البيضاء.. تلاحقهما كاميرات التصوير بالفيديو المحمول.. ورش أوراق الورود، بدلاً من الملح على الرؤوس.. ثم زفة الخروج من صالة الأفراح.. بالأبواق.. شبه العسكرية، تم ذلك بعد فتح البوفيه..
وتوالى تقديم كبار المطربين والمطربات مع الراقصات اللولبيات...

.. وعند نقطة الختام، سيذهب الزوج -الذى شرخ من تحت إلى فوق في زمن قياسي- وأثنا عشر مليون عاطل لم يبدلوا من ثوابتة الدقيقة .. إذ أنه في الفندق الكبير -جناح العرائس- وحوله كل هذه الفخامة والعطور والثراء. علي السرير الوثير، كان يبحث عن "ابنة الجيران" التي حلم بالزواج منها.. بنت البنوت، التي تنتظرة في النافذة تحلم بالليلة الكبيرة..و الدخلة و الزغاريد..و البكارة.."
الليلة الاولي تترك بصماتها علي الليالي التي تتلوها ".
لم يكن المهندس مصطفي.. من الشباب الخامل..سافر الي الخليج.. و درس في ايطاليا آخر ما و صلت الية علوم الكهرباء، دعم بكالوريوس الهندسة من الجامعة المصرية بالخبرة الأجنبية، وعين في مصنع من مجموعة "شركات نانا"

ووالد نانا العطوف أعجب به وبابتكاراته الهندسية.. وأشـــاد به أمامها كثيراً، حتي إلتقت به --
منذ أول لقاء بينهما قررت أن يكون المهنـــدس مصطفـــي زوجها الشرعي.. أعجبت نانا بجسمة الريـــاضي. وشـــكل وجهه الأوربي.. وكان يضايقها أنه فخور بأنه مـــن ريــف "المنوفية"
نانا تعتبر أن سكان المنوفيه.. فلاحين..
لكن مصطفي.. مهندس، فلا يمكن أن يكون منوفيـــا بحتـــا.. ولأن مصطفي رضخ لنصيحة صديقة رأفت- الذي قال لـــه، "لا تسكر طينة يا مصطفي في ليلة الدخلـــة، صحصـــح يـــا باشمهندس.. الليلة الأولي تترك بصماتها.... خـــذ الكـــأس وتصرف فيه.. أدلقة في أى مكان.. أرشف رشفة..وصـــب أنبت الكئوس.. لا تصب لنفسك إلا قطـــرات.. وأوصيـــك أن تفتتح بشرائح البطاطس المقلية.. ليتمكن الزيت مـــن بنـــاء حاجز بين الماء الذهبى والخملات..!!"
والمهندس مصطفى مشى على حبل نصيحة صديقه رأفت.. لكى يعمق هذه الليلة الفريدة..فاكتشف أنه يسير فى طريـــق "أوتوستراد".. قام وجلس علـــى المقعـــد الوثـــير بجـــانب السرير.. يفكر ويتجهم.. وأخذ يدخن فى حجرة النوم. ونانا غطت جسمها العارى وتحملت.. نادت عليه:
-مصطفى.. إذا كنت تريد أن تنام تعالى.. وإذا كنت ستجلس عندك تدخن.. من فضلك إطلع دخن بره أوضة النوم.. أنـــا بطلت أدخن من أجلك..
إلتفت إليها واجماً.. فقالت:
-الفلاحين لا يميلون إلى الست التى تدخن..
كان لابد وأن يرد عليها -وهى تثيره- يؤكـــد لهـــا بأنه لف الدنيا، اشتغل فى الخليج وهو طالب.. وسافر إلـــى إيطاليا بعد حصوله على بكالوريوس الهندسة.. وكان يجـــب أن.. وأن..

-- لكن نانا.. رفعت من حدة صوتها.. ودت أن تخلصه من الغضب، وقالت:
-صدرى واجعنى.. بطل تدخين وتعالى.. تعـال جنبـى يـا مصطفى.

-- لكن مصطفى كان كل ما يهمه أن يعرف "من هو؟!"
حاولت أن تجذبه بعيداً.. ولكنه كان يصر بأن يعـرف "مـن هو؟" نظرت إليه وإبتسمت. ثم تحولت ضحكتها إلى قهقهـة من قلبها. وهى ترى مصطفى محترماً وغاضباً ويريد -بـل يلح- بأن تجيب على سؤاله..
نانا رأت مصطفى على حافة الغيظ ولم يغادر القرية منـذ أن ولد فيها.. إنه يكذب إذ يقول بأنه سافر إلـى إيطاليـا. لـو سافر إلى إيطاليا وعاش فيها لما سأل هذا السـؤال.. لعـل مصنع إيطالى حبسه بين جدرانه فترة، حتى أطلقه عائداً إلى مصر..
كان على لسانها أن تقول له:
-إنت غبى يا مصطفى.. كنـت فـاكره إنـك شـاب ذكـى ومودرن.
-ريحى بالى أخبرينى من هو؟
كان على لسان نانا أن تقول له:
-لا حصر لهم يا مصطفى.. كنت كل ليلة أنام فـى حضـن بوى فرند.. كلنا كنا أصدقاء.. والدنيا برد.. وبعضهم كـان ينام فى حضنى عارياً.. ينام طلباً للدفء ليس غير..
ولم ترغب أن تذكر الطيار، ولم يزل له فى قلبها -مركزه- وبابه مفتوح.. أن يحط على الأرض، ويأتى إليها سـاعياً.. ستعاتبه.. وتفتح له..
وسمعت مصطفى الغاضب يقول:
-أنا لا أقبل هذا..

أدارت في ذهنها حواراً ودت أن ترد به:
"المسألة الأخلاقية عندكم في البلد تبدلت، وأنظر حولك يـــا مصطفى، ستجد أنها تبدلت وتخطت الحاجز.. الفقراء صاروا يبيعون بناتهم -لمن يدفع- بالليلة والأســـبوع والشـــهر.. بواسطة ورقة مأذون كورى.. ويقنعـــوا أنفســـهم بـــالحلال البلال.. وأنت يا مصطفى.. خدعت نفســـك، إذ إعتقـــدت أن شهادتك،ونصف العام الذى أمضيته فـــى مصنـــع إيطـــالى -مقابل شهادة أيضاً- هما اللذان جعلا منك كبير المهندسين فى شركاتنا.. لو كنت تشتغل فى الحكومة ووقفت فى صـــف الترقيات، مرتبك لم يكن ســـيتجاوز مرتـــب الفـــراش فـــى شركاتنا"

.. ولكن نانا.. كانت قد صنعت لنفسها كوابح قويـــة.. كانت تنتظر وتتحمل.. حتى يستمر مصطفى معهـــا بعـــض الوقت -لعلها تعلمه وتدربه على الحياة العصرية- كمـــا أن هجرانه لها منذ الليلة الأولى -قد تصنـــع منـــه الصحافـــة موضوعاً مثيراً- والتنافس بين أصحاب الشركات يستغل أى شئ،وكل شئ،لترويج السلع..

.لكن صبر نانا على مصطفى.. جعله يتخلص مـــن التلعثم أمام ابنة المليونير صاحب الشركات والإســـتثمارات الذى كان يسبق إسمها بحضرتك..قال:
-إنت خدعتينى يا نانا.. أن نبدأ حياتنا بالخداع.. كيف..؟
ولما نفذ صبر نانا.. قالت له فى هدوء:
-لا تنفعل يا باشمهندس.. أنـــت الآخـــر لا تمتلـــك غشـــاء البكارة..
. وعددت له التنازلات التى نزل بها من أجل أن يصل إليها.أشارت .. إلى المنصب الذى لم يكن لـــــه، والمرتـــب

الكبير الذى لم يكن يستحقه وهو يسلم كالبغايا.. يفعلون به ما يشاؤون.

•• وأشارت له إلى أحوال البلد حوله. وأشارت له إلى قدراته التى لا تزيد عن مهندس مبتدئ ضمن ألوف العاطلين..

وقالت:

-كنت أعتقد أنك من الذكاء أن تعبر في الطريق الناعم على نتوء- رأيته فى طريقك صدفة. وتضع نصب عينيك مستقبلك مع الأثرياء!

غضب مصطفى وقال:

-أنا مهندس محترم يا مدام..!

قالت له:

-أنت فوقتنى -الله يخرب بيتك- أنا كنت مبسوطة وصرت زعلانة -سأنسى ما حدث- وقم وتعال بجانبى.

•• وأخذت تربت له على طرف السرير الوثير ولعل مصطفى قلب المسألة فى ذهنه.. ووجد أن الطريق بالفعل ناعماً وواسعاً وسوف يؤدى به إلى النعيم.. وأن تمسكه بأفكار بالية لن يفيده كثيراً.. قام واندس فى الفراش.. وهو يفكر فى الثمن الذى تضاعف.. إنتظرت نانا حتى إمتلأ بالوجد.. مضغته وبصقته.. فوجئ بها تدفعه وتلقى به بعيداً، وأصرت على أن يخرج من حجرة النوم فوراً، قالت له:

-لو إنك تمسكت بموقفك.. لو إنك لم تبع نفسك رخيصاً.. ربما سمحت لك بهذه الليلة، والليالى التالية.. لكنك مقرف جداً يا سى مصطفى.

غضب المهندس مصطفى غضباً شديداً.. وسأل:

-أنا المقرف يا مدام؟!

.. ولم ترد عليه.. فغادر الحجرة.. والجناح.. والوظيفة الكبرى. والمرتب الكبير..

"لكن والدها، منحه مبلغاً محترماً في السر" فظل زوجاً لنانا مع إيقاف التنفيذ لثلاثة شهور.. يراوده الأمل في صفحها، ثم أعلن الطلاق، على أساس أن المصونة نانا بنت الأكابر إكتشفت بأن زوجها.. "الله يحفظنا".. "شماماً" وليس له في النساء!

وبذلك نصل إلى حكاية الوزير الذي يحب الشاي بالحليب.

****

• الوزير هو الزوج الثالث لنانا، الذي جاء مع الربيع.. فهو صناعة استثمارية بحتة. إذ كان يتلذذ بالحكايات التي يسمعها عن نانا، ويعتبرها من طيش الشباب. ذلك الزوج كان مودرناً لا يهمه -التاريخ القديم- إنما يهمه المستقبل المأمول، زوج من الذين يخضعون مسائل الزوجية -إلى "الشراكة" التي تقوم على أن حقوق كل شريك متساوية ، تحكمها بنود محددة وواضحة.

الشركاء.. شركاء منذ التوقيع على العقود.

والشركاء لا يبحثون في ثنايا حياة الشركاء القديمة عما يغضبهم. ما يركزون عليه،ويهمهم.. التصرفات الآنية -والقدرة على العطاء- وعليه،فقد تفنن "صاحب حكايتنا" الذي كان نشيطاً ومتوقداً، في كافة الحجرات.. في حجرة النوم.. يعمل على راحتها أولاً.. وفي حجرة الجلوس.. يعجل على تسليتها أولاً بمجهود مضاعف.. وفي حجرة السفرة.. هو الذي يطعمها.. قبل أن يطعم نفسه.. وفي الصالون.. ودوداً للغاية مع ضيوفها، وخاصة الصديق الطيار الذي

ظهر بعد زفافها بأقل من شهر.. وصار يراقصها ويسليها. والوزير في غاية الانبساط!!

حتى في المطبخ.. كانت له مواهبه.. التي تفتقت عن أكلات شعبية إندثرت.. مثل الكشك.. والكمونية.. والزلابية. ومع أنه.. كان وزيراً.. لم يكن يخفي غرامه الشديد بشرب اللبن بالحليب. معظم الوزراء يشربون القهوة السادة، أو المضبوطة، أو الشاي الفتلة.. وزيرنا.. يشرب الشاي بالحليب في كل المناسبات. يشرب الشاي بالحليب صباحاً ومساءً.. مغرماً به.. منذ كان صبياً.. وطالباً وشاباً.. وللآن.. منذ كانت حياته محددة. ومحدودة جداً. ولا يضمن لنفسه الوجبة السنية. كان عليه أن يحافظ على مظهره، وفكرة الناس عنه، بأنه ابن ناس مستورين..

.. إعتاد منذ صغره إذا سأله أحدهم "ماذا تشرب يا حكيم" يرد -ربما دون تفكير- أشرب شاي بالحليب. أو يا ريت شاي بالحليب. و الحليب يكون أكثر من الشاي. ثم صار بارعاً في عمل الشاي بالحليب.. وأتقن عملية غلي اللبن ليحتفظ به لأطول فترة ممكنة، دون أن يصاب ببكتريا تفسده، وصار يفهم في بديهيات غلي اللبن. إذا وصل اللبن في الإناء إلى درجة الغليان.. خف وتضاعف وإمتلأ بالفقاقيع الدقيقة، وإرتفع لينسكب خارج الأناء.. فكان (حكيم) يقطع أهم المناقشات لينبه بأن لا يغفلوا عن الموقد المشتعل تحت اللبن الحليب.. وإلا إنسكب معظمه خارج الإناء.

وحتى نانا -التي دأبت على أن تناديه باسم والده- "حكيم" كلما أمضت وقتاً مع طيارها ووزيرها مشغول بالإستقبالات والإنتظار في استراحات المطارات.. والزيارات.. كانت تتعمد أن تقدم له لحسة حلوة من الشهد

المسكر، الذى إمتد لعدة شهور.. وبدون مناسبة عندما كان يحدثها عن أهمية غلى اللبن لتخليصه من الميكروبات الضارة. تقول له:
-والله تنفع وزير صحة يا حكيم..
ثم تسأله:
قل لى عملوك وزير إيه؟!
فيشعر "نادر حكيم" بالزهو -وهو يحذر بأن اللبن "حرامى" يسرق المراقب ويفور وينسكب خارج الأناء..
ترد عليه نانا:
-يا سلام.. يا سلام يا حكيم
وتدفن رأسها فى أحضانه.. تتخفف من ملابسها.. فيتذكر شهر العسل الذى يعقب الزواج.. ويقترح أن يعاد تسمية هذا الشهر اللذيذ.. بشهر الشاى بالحليب.
فهو يرى أن العسل أرخص، ومن يتعاطاه مرة.. لا يعود إليه إلا مرغماً.. أما الشاى بالحليب..
"يا سلام يا نانا على الشاى بالحليب.."

.. ولما أطلقها من أحضانه -نانا تذكرت بأن الطيار سيمضى أجازته فى الساحل الشمالى بالإسكندرية.
سألها: تشربى إيه يا ناناتى..
ضحكت وقالت: شاى بالحليب يا حبيبى.

..مع أنها -لا تطيق الشاى بالحليب- لكنها إذا رشفت من الكوب رشفتين، سيكون ذلك مقدمة لأن تطلب منه قضاء إجازته معها فى الساحل الشمالى -وتعرف أنه سيكون مشغولاً جداً.. لكنه سيوافق..
ومع أنه وافق على مطلبها- إلا أنه إستمر يتكلم عن فتافيت العيش بداخل سلطانية الشاى باللبن الحليب -أو- عندما كان يغمس العيش الأفرنجى فى الشاى باللبن الحليب..

العيش الأفرنجي، يتشربه الشاى بالحليب، ويشـــعه بداخـل الفم.. لذيذاً يغمر الحلق يا نانانى.. لذيذ جداًجداً يانانى...

****

عندما إنتقلت نانا.. ووزيرها.. إلى فيللا الساحل الشمالى.. كان لا يزال الوزير يتحدث عـــن الشـــاى بـــالحليب. ونانـــا مشغولة بالطيار الذى يريدها أن تطير وتحط فى مطـــارد.. قالت لحكيم:
- كى تتغلب على مشكلة إنسكاب اللبن عندما يفور يجب تجهيز "الشاليه" ببتوجاز حديث ينطفئ تلقائياً حال غليان الحليب.

.. لكن حكيم كان يتحدث بعظمة الوزراء علــــى غــير العادة.. عندما يصرون على أن تكون الاقتراحات بـــالتطوير من بنات أفكارهم.

قالت له نانا:
يا حبيبى إنت صعدت إلى الوزارة بطريقـــة غليـــان اللبـــن الحليب.. ينسكب بعضه خارج الأناء ويبقى بعضـــه الآخـــر بالداخل. إستعانوا بك للتعويض ..
-لم يفهم الفكاهة و يضحك. وأذا مـــا أحســت نانــا بأنــه سيغضب قالت:
- أقصد.. لك أن تعتز بحكايتك عن اللبن الحليب و الشـــاي بالحليب،و تجعل منها نظرية سياسية.. لا تستهن بنفسك!

.. ولم يكن الوزير صاحب خيال ليضحك، و يستمر في مط شهر العسل.. الذي حانت نهايته.. بانتقال الوزير إلـــي الانغماس في مشاكل وزارته. وهو الذي أعتقد أن ليل الربيع سيزدهر في أحضان زوجة ناضجة لهـــا تجــارب ســابقة.

وبأسمها نصف الشـــركات الاســـتثمارية "بيعـــا و شـــراءً" والنصف الأخر سيؤول اليها بعد عمر والدها الطويل .
الوزير اذا ما تأمل حاله –بعد أن يفرغ من حكاياتـــه حـــول الشاي بالحليب. يجد نفسه موظفا في شركات نانا.. بدرجـــة وزير. في عالم من رجال الأعمال – ولم يتخلص بعد مـــن حياته في "الطبقة الوسطي بثوابتهـــا" غفـــل قليـــلا أثنـــاء الصعود، ولكن مما يؤسف له،أحيانا تتلبسه حالات كان قد تناساها.. أمام عالم رجال الأعمال..عليه أن يثبت دائمـــا أن الكفن لا جيوب له،وأن يتطهر من "المال والثروة" ليطمئنـــوا الي نزاهته. وذلك ضد طبيعة الأمور. وهبوط الطيـــار فـــي الساحل الشمالي.... مع الجهد العظيم الذي تبذله نانا لذلـــك. كانت في أحضانه في أشد الحاجة لدادة أو أب، يأخذها فـــي أحضانه لتنام قريرة العين. وتكون نانا مثارة وعلـــي غـــير الحالة التي "تمثلها"،اذا ما حدث لهـــا عكـــس مـــا ترغـــب.
والوزير بعد أن هبط بالمظلة علي كومة القش. بدأ يتذكـــر (الأصول) بأن الرجل لا بد وأن يكون.. رجل البيت الوحيد.. ولعل كم الاحترامات المبالغ فيها من موظفي وزارته كـــانت السبب فيما اكتنف تصرفاته من غرابة،أدهشـــت نانـــا،وإذا بنانا تصدمة.. تقول لة غاضبة:.
-أنا أكره الشاي بالحليب، وأنا أكون في غايـــة الســـرور أذا انسكب اللبن كلة.. أثناءالغليان..
وقالت: أنها تفضل الكوكاكولا..حتي علي الإفطار.
وشعر الوزير بالنهاية، وبأنة يواجة عاصفـــة، وفكـــر فـــي مقعده الوزارى الذي قد يفقدة.. وفكر في الدعم المالي الذي يسانده–ومنة فكر فيما وراء "المشهد المعلن بتلك الكواليس" فرأي أن الذين يعضدون والدها و شركاته فـــي الصفقـــات العلنية والسرية. في إمكانه،و هو الوزير.أن يربط اتصالـــه بهم شخصيا،وبصورة مباشرة،ويقوي مركزه المهزوز ..
وسأل نفسه:

" لماذا يكون أبو نانا هو الوسيط؟"

سؤال بسيط... جال في ذهن الوزير المطمئن. أدي الي أن اللبن يفور علي الموقد.. يطفـــئ نــار البوتاجـــاز.. ويستمر الغاز في التسرب.. يملأ المكان المغلـــق بأحكـــام.. ومن المعلوم أن الغاز إذا تسرب كثيرا، يرقد علي الأرض.. في أنتظار..مصدر نار.. يشتعل.. أي مصدر بـــه شـــرر أو لهب سيشتعل، ويحدث الانفجار...

****

• كان الحادث فى نهاية شهر أبريل.. وبداية الصيف ومع نهاية اجازات المدارس والجامعات..

.. إذ قام الوزير نادر حكيم.. بالدخول إلى المطبخ على أثر نزول نانا إلى حديقة القصر الصيفـــى متجهـــة نحـــو السيارة.. ورآها عسكرى الحراسة.. فضـــرب لهـــا تعظيـــم سلام.. ركبت سيارتها ولم تتعجل فى تشغيل موتورها.. فى الوقت الذى كان فيه الوزير يشاهد سطل اللبن فوق الموقـــد المطفئ.. تلقائياً سيشعل قداحته.. ويشتعل المكان فى إنفجار مروع..

****

المشهد الأخير..

"نانا كانت تبكى زوجها الوزير.. وهى فى أحضـــان الطيار الشاب.، وكانت فى ملابس سوداء على أحدث مودة، أبرزت جمالها الفتان.. على الشاشة الصغيرة.. وفى صـــور المجلات الملونة...

واقعة..

معدومة التفاصيل

□ السفر كان من أجل المال. سافر إلى الخليج للعمل. ترك خلفه زوجة موظفة، وولد بالصف الأول الثانوى. وبنت فى الصف الثانى الإعدادى.. بعد ثلاثة شهور، وصله خطاب من زوجته "أنا خلاص ياعبد الحميد. طهقت من عصام. خلق لنا مشكلة عويصة مع جارتنا.. الست ثريا، أنت عارفها. كنت تعيب عليها ارتداءها الملابس الخليعة، الشفافة، الفاضحة.. وتعرف زوجها "شمحطجى" وصاحب كازينو على البحر.. قادر، وفتوة سابق.. نحن ليس لنا قدرته. وأنا لا أستطيع السيطرة على

نزوات عصام. فى هذه السن الخطرة.. ياعبد الحميد. أرجـــوك. تشوف لنا حلاً..".

وبعد أسبوعين وصله خطاب آخر من زوجته:

"اذا لم تحضر حالاً ياعبد الحميد.. ستدفع الثمن غاليـــا. عصـــام سيضيع منا ياعبد الحميد. لم يعد يذهب إلى المدرسة. وبيدخـــن سجائر من خلف ظهرى. ذهبت أشكوه لعمـــه جـــابر.. طيـــب خاطرى بكلمتين، لكنـــه لم يحضر لردعه. كل الذى قاله لـــى، بدون أن يغادر بيتـــه. "الشباب فى هذه السن يكونوا متقلبيـــن.. بكره يعقل، وربنا يهديه إلى سواء السبيل".. ياشماتة العدويـــن فينا..."

* * *

لم يكن عبد الحميد فى حالة تسمح له بأن يقرر العودة..

فقد حصل على إجازة بدون أجر من عمله شبه الحكومى، وذلك حدث بصعوبة لحاجة العمل إليه. وحاجته هو لزيـــــادة دخلـــه. انفق هدايا، واستخدم وساطات. كما أنه حصـــل علـــى العقـــد بطلوع الروح.. !

اكتفى بأن أرسل إلى الإسكندرية، يستفسر عمـــا حدث تفصيـــلاً. عن الأسباب الحقيقية لإنقلاب عصام من صف الأولاد الهـــادئين المهذبين.. إلى إثارة مشكلة مع مدام ثريا. وأخذ يسأل:

- ما هى المشكلة بالضبط.؟!

ووصله خطاب زوجته الثالث، أكثر غموضا. لكنه فهم من خـلال سطوره. أن الولد عصام تجرأ وباس جارتهم الست ثريا. وهـى طالعة ذات مساء- فى جالها- على سلم العمارة.. ذلـك عندمـا تعطل عمل المصعد- هكذا بدون مقدمات.....

(شغل مراهقين.. تقول إيه.؟!)

* * *

انتاب عبد الحميد قلقاً ممتزجا بالدهشة. لم تـترك لـه "الغربة" فرصة للزهو بإبنه عصام الذى كبر فجـأة. كمـا أنـه لايستطيع العودة إلى أرض الوطن إلا بعد إنقضـاء عـام علـى الأقل. حتى يمكنه الحصول على إجازة مدفوعة. وبطاقـة سـفر مجانية، وبعض المال، ليعوض النفقات الباهظة التـى تكبدهـا- مـن اللحم الحى- لا أحد يعرف، كيف أمكنه أن يحصـل علـى "الفيزا" والعقد، والكفيل !

لم يجد أمامه إلا أن يتلقط الأخبار. بالخطابات، ومـن الزمـلاء الذين يمضون إجازاتهم بالأسكندرية، ويعودون إلى الرياض..

* * *

عندما عاد زميله مصطفى- وقد رجاه أن يذهب بنفسه إلى بيته، ويقابل زوجته، ويأتى له منها بشريط كاسيت تحكـى فيه كل شئ بوضوح.

أحضر له زميله الشريط. وقبل أن يستمع إليــه، ســأله متلهفاعن أحوالهم. قال مصطفى ضاحكا.. مهونا الأمر:

- ياأخى.. كلنا كنا أولاد.. ولنا أخطاءنا.. !

ولما إنفرد عبد الحميد بنفسه، واستمع إلى صوت زوجتـــه فـــى الشريط. كانت زوجته تردد: "أنت سايبنى لوحدى فــــى الهـــم.. ومريح نفسك هناك. قاعد ولا على بالك. أنا لا اقدر على القيـــام بأعباء وظيفتى، والسيطرة على الأولاد. نحن نحتـــاج لوجـــودك معنا ياعبد الحميد.. أكثر من الفلوس.. نقدر ندبر حياتنا هنــــا بدخلنا.. فى ستين داهية الفلوس... عليك أن تختار.. الفلوس أو عصام..؟!

لم تكن زوجته بهذه القناعة من قبل- هى التـــى كـــان شـــغلها الشاغل، الذين سافروا، وأتوا بالفلوس.. والأجهزة..

وباقى الشريط. نهنهة. وترديدا لنفس المعانى بأساليب مختلفة. ولم تتحدث كثيرا عن عصام، وواقعة بوسة الســـلم، التـــى أدت إلـــى هذه الإنهيارات فى أخـــلاق الولـــد الـــذى تركـــه مؤدبـــا ورزينـــا.. بل وصامتا وحزينا.. !

انها تتحدث عن نفسها، وتحاول إعادته إليها.. هـــى لا تـــدرى أنه- أيضا- يشتاق إليها بشدة..

.. عصام أكبر أولاده فى أولى ثانوى.. وهو بكامل صحته، وفى مرحلة النضج الرجولية..

الشهور التى مضت عليه فى المدينة الصحراوية التـــى تفرق بشدة بين الذكــــور والإنـــاث.. ضـــاعفت مـــن شــعوره بالحرمان.. وسلمته إلى حالة اشتياق جامحة- كتب فى رسالته:

"أنا أيضا اشتاق إليك يأم عصام.. لكن ما باليد حيلة."

* * *

واصل عبد الحميد.. عمليات الإستفسار بشتى الطرق.. ليستكمل صورة ما حدث. بدأ زميله مصطفى يتذكـــر، أو يفـــرج عما يتجنب التصريح به. وكلمة من هنا، وكلمــــة شـــاردة مـــن هناك. أمكن لعبد الحميد.. من أن يكون هيكلا لواقعة "القبلة" التى قيل انها تمت على بسطة السلم.. كما أشير بأن (القبلات) تمـــت بداخل شقة ثريا هانم.. وبالتحديد.. فى حجرة نومها..!

"عصام العكروت، كأى مراهق خجول، يتلصص، ويلقى النظرات الى الجارة الحسناء مـــن نوافـــذ المنـــور، والحمـــام، والمطبخ، والشرفة.. بينما هى تتحرك فى شقتها، مـــع شـــعور زائد بالحرية.. فى ملابسها المختصرة جداً.. تلك الملابس التـــى كانت تربكة هو شخصيا، إذا ما تصادف ووقع بصـــره عليهـــا.. لابد وأن الولد عصام.. بخبراته الضحلة.. اعتقـــد أنهـــا تشـــعر بـــه.. وانها تسمح له برؤيتها فى أوضاعهـــا المختلفـــة.. وإلا لأغلقت فى وجهه النوافذ.. أو أعلنت عن رفضهـــا بإشـــاحة، أو تقطيبة، أو أى حركة تنم عن الرفض.. ولمــــــا كـــانت لفـــترة

قصيرة تعامل عصام على أنه طفل، تلاطفه بيدها.. وتقربه من جسمها الفائر، الناضج، ناسية أن الولد يكبر.. وربما لأن زوجها الموقر، وهو مشغول دائما بأعمال الكازينو، وما يحيط عمله من عاملات وراقصات ومغنيات.. كان لاهيا عن "ثريا" التى احتجزها فى شقته، لانها الأكثر فتنه وإثارة.. !

وثريا امرأة تجاوزت الثلاثين بقليل.. شابه.. وتشعر بالفراغ والوحدة.. ولعله تصور أن الولد دخل فى روعه بأنها تحثه على أن يبدأ الخطوة الأولى من ناحيتة. و.."

وعاد عبد الحميد يجمع المشاهد فى منظومة أخرى، بعد أن وصلته نشرات جديدة..

"طلبت ثريا" من عصام أن يدفع لها فاتورة الكهرباء. وصحبته الى داخل شقتها لتعطيه كعب الإيصال والنقود.. مشت أمامه ترفل فى قميصها الحرير، تبعها إلى حجرة النوم- وقالوا- أن الولد هجم عليها واحتضنها وأخذ يلثم خدودها وشفتيها.. وانها كانت تقاومة برفق، عندما دخلت عليها صديقتها وجارتها- الحشرية- هناء..والتى كانت السبب فى إثارة الفضيحة للولد.. عديم التجربة!"

وإذا ما فكر عبد الحميد قليلا فى المسألة- سيعدل من تصوراته..

فالولد المراهق.. قد يرغب فى تقليد ما يحدث فـــى افلام السينما أو على شاشات التليفزيون.. ولكنه- وهو فى أولـــى ثـانوى- سيكون هشا وضعيفا وخجولا.. واذا ما خطف "بوسة" لن يخطف الثانية، إلا اذا سهل له الطرف الآخر المسألة.. وجعلـــه يشـــعر بالإطمئنان الشديد.. حتى ينهال عليهـــا بـــالقبلات والضمـــات.. وحتى تدخل هناء، وتكتشف الأمر.. فإذا بمـــدام ثريـــا تقـــاوم.. وتظهر نفسها أنها الضحية.. كيف تكون هى الضحيـــة.. وهـــى أمرأة.. بما تعنية الكلمة.. من نواحى مختلفة.. فى أوج نضجها وحنكتها!!

وعبد الحميد.. يعرف ابنه عصام حق المعرفة، لن يســـتطيع أن يحول الضمة الخفيفة المتسرعة الخاطفة الى "جريمة" بأى حـــال من الأحوال.. ؟

فكيف صرخت مدام ثريا.. ؟ واستغاثت بجارتها هنـــاء وهـــى قادرة على احتواء الولد وعشرة من امثالة.. ؟

"المسألة تحتاج الى اعادة بحث وتحليل.."

* * *

لما عاد عبد الحميد من الخليج.. مكتفيـــا بتنفيـــذ عـــام واحد من العقد. استقبلته زوجته بعاصفة مـــن اللـــوم خففتهـــا الهدايا التى يحملها لها.. احتضنته بشغف.. ووجد ابنه عصام قد أصبح أطول وأنحف مما تركه تصرف معه على أساس أنه لا

يعلم شيئا عن الواقعة. والولد عصام كان ممتنا لأمه لأنهـا لـم تكشف ستره لوالده.. وأعتقد أن الواقعة تناساها الجميع !

عبد الحميد وجد زوجته قد انتقلت إلى صف عصام.

"المفضوحة ثريا، بعد أن اتهمت عصام بمحاولة التهجم عليها.. ربنا كشف سرها."

وسأل عبد الحميد.. متلهفا لسماع حقيقة ما حدث:

- كيف كشف ربنا سرها ؟!

ولم يقتنع بالدفوع التى ساقتها أم عصام.. لأن "المفضوحة" لـو كانت قد دبرت الأمر لأغلقت باب الشقة.. أو احتـوت الولـد ليجعل الأمر سراً بينهما وإلى الأبد..

"من منا ليس له أسراره ؟!"

وأخذ يعدل فى الواقعة من جديد

خيل له أن الولد ربما بدأ بتشجيع منها.. وعندما تمادى. نهرته. وأدى ذلك لحضور هناء. أو لعل هنـاء حضـرت بالصدفـة.. فاضطـرت ثريـا أن تعكس مـا حدث..

مـن يعلم الحقيقة ؟.!

وما أهمية التفاصيل إذا كان الجميع قد تناسوها..!

فى الواقع.. مال عبد الحميد إلى أن يكفى على الخـبر ماجورا.. ولكنه عندما قابل مدام ثريا مع زوجهـا أمـام بـاب المصعد.. سلم عليها.. كان فى صوته وفى هزة يده ليدها، قدراً

كبيراً من الإعتذار.. وقدرا أعظم من إيجاد المـــبررات للولـــد الطائش.

إلا أن سالم بيه الذى أغلق سيارته الألمانيـــة الفارهـــة وأتـــى يضحك فى وجهه. وقال بصوته الجهورى وهو يغمز له:

- اسمع يابو عصام.. لابد وأن تســـارع وتـــزوج عصــــام.. الزواج البدرى يصون العيل ويجعله يبطل "عَطْ".

اضطرب عبد الحميد.. ولكنه رسم على فمـــه ابتســامة واسعة.. وهو يعانى من الإنزعاج، أن يكون الرجـــل قـــد علـــم بالواقعة ويعاتبه.. أو أنه شاهد عصام فى الكازينو الذى يديـــره على الشاطئ.. إلا أن سالم بيه سريعا ما تحول إلى الحديث عن "الصيف المضروب". وشهر رمضان الذى أوقف لهم الحال فـــى الكازينو..

أخذ ابو عصام يغمغم بكلمات مجاملة.

جاء المصعد.. فدخله معهما.. اقترب من مدام ثريا فادار رأســـه عطرها الباريسى.. وهى تقول فى دلال:

- بركه رجوعك بالسلامة يابو عصام..

وعندما التفت إلى عينيها.. خطفه ذلك البريق..

فكر فى ألف عذر لإبنه عصام..

رفع الجلسة على تل القضايا

[١]

◻ "تكاثرت أوراق القضايا فـــى المحـــاكم.. والأوراق القديمة المكتوبة بالحبر الزفر.. تكون مجالاً حيوياً للقرض. والعتـة.. والحشرات الدقيقة (أحدهم إكتشف أنها من أسباب موت قطاع من الكتبة، وقطاع من القضاة..)
والمحاكم_ طبقاً لقوانينها، لا بد وأن تحفـــظ تلـك الأوراق أعواماً طويلـةـ وفـى هوجـة الإقتراحـات والمبتكـرات والإكتشافات الجديدة للمخططين بالمدينة السمهريةـفقد تقدم أحدهم بإقتراح، يرى فيه "ضرورة الإستفادة من تلك الأوراق المكدسة فى الأضابير.."
إذ رأى أن نشرها على حبال، تزين بها جدران المحـــاكم _ وذلك بقصد المساهمة فى إظهـــار حالـــة إحتفاليـــة دائمـــة بالمدينة _ ومن ناحية أخرى، تطـــول هـــذه الأوراق أشـــعة الشمس. فتحمصها.وتقضي علي القرض والعتة والحشرات الدقيقة فيها..
[بعض هذه الحشرات تسبب إلتهابا في الجلد، وحكة يتلذذ بها الحكاك حتي ينزف دماً ..]
وهذه الحشرات،كانت من أسباب الأمراض السرية للقضـــاة، ومعظم العاملين في المحاكم. اذ يصابون بالحكة،وضيق في التنفس.. وأزمات الربو.. وفقدان الأعصاب.. والتهيج الدائم في الأماكن الحساسة،من الجسم. وليس مـــن المعقـــول أن (يهرش) القاضي.. هرشاً متواصلاً،وهو يستمع الي خطـــاب النيابة.. أو دفاع المحامى..
ونظرات الحضورلا تنصب إلا علي سيادته..

..لذا.فإنه من الساعة الواحدة،إلي الساعة الثالثة يتم تجميع الأوراق- التي تشمل المذكرات،والمستندات التي تزحم الملفات.. المنشورة علي حبال الغسيل.. تجمع ..في رزم بداخل الأضابير. ويقوم السعاة العواجيز بحملها وتستيفها في مخازنها. وتجهيز كميات أخري لتحميصها. وهي حالة تتكرر يوميا. لذا فقد إنضمت إلي الظواهر السياحية بالمدينة..
بما يعني أن نشر المستندات علي حبال الغسيل وجمعها، والدخول بها إلي المحكمة -أو الخروج بها من المحكمة. صار جزءاً لا يتجزء من- حل تراكم القضايا في المحاكم.. الذي نظر اليه الخبراء علي أنه من (لُب) الكارثة التي تعاني منها المدينة، وأساس لمشاكلها المزمنة.. !

□ .. فالقضايا تراكمت في المحاكم بصورة مزعجة.وتأخر الإنتهاء منها لعشرات السنين. وأدي ذلك إلي ظهور مشاكل جانبية خطيرة.. أهم وأخطر هذه المشاكل.. هي "الزيادة المفرطة في تعداد السكان" وما يترتب علي ذلك من مشكلات متنوعة.. تسبب كثيرا من الإرتباكات في المواصلات، واضطرابات حركة المرور في شوراع المدينة.. مرورا بالعشوائيات التى ظهرت حديثا،وزيادة الجرائم، والتفنن في وجود جرائم جديدة. إلي تدهور التعليم.. وانحطاط الثقافة.. مما جعل عصابات القط الأسود والقط المفترس.. والقط ابو نقطة بيضاء.. وغيرها،تستفيد استفادة جمةمن تلك الظواهر السلبية.. وكل عصابة.. لها تخصصها الخطير الذي يهدد الأمن العام،والاستقرار الشعبي,, والسلم الاجتماعي..!

□ .. وقد يندهش- مسطحوا التفكير- عندما ما يتم ربط تراكم القضايا كمشكلة.. بمشكلة زيادة السكان،

والعشوائيات، والمرور.. وما سبق وذكرناه.. حتي الوصول إلي أستفادات- العاصابات القططية من ذلك.؟

٥.. وقد يجد البعض أن ذلك الربط غير منطقى،وغــــير طبيعى، وأن كثيرا من مشاكلنا فى المدينة الكوزموبوليتيه.. له أسبابه التى ليس لها علاقـــــة تذكـــر.. بتــلال القضايـــا المنظورة أمام المحاكم.. أو أمراض القضاة.. السرية منهـــا والعلنية..
"لكن مهلاً .."
فقد تبين لكل ذى عينين،أن الإنسان إذا ما تعلقت روحه على أمل.. ستظل الروح معلقة ومنتظرة، وفى حالة ترقب لنتيجة القضية المطروحة على المحاكم.. وهنا يحدث بداخل جســـم الإنسان حالة من الشحذ الإضافية. فى الغالب يكون وقعهـــا على العجز والمرض فائقا. إذ ستفرز إفرازات غريبة،مبعثها الأمل-- تقاوم الجراثيم، والميكروبات فى الجســـم، تدعـم كرويات الدم البيضاء.. وتعضد جهـــاز المناعـــة.. فتؤجـــل عمليات الفناء والهدم فى الخلايا.. وبذلك تتبـــاعد حـــالات الوفاة، والموت الظاهرى "الإكلينيكى"..

٥.. حتى مع حدوث الموت "الإكلينيكـــى" كمـــا ســـطرته الأقدار فى اللوح المحفوظ.. فإن الوفاة فى هذه الحالة تتـــم على مرحلتين. المرحلة الأولى.. قدرية.. لايملـــك الإنســـان فيها.. مهما كان أمله معلقا أن يعطلها..
والمرحلة الثانية تتعلق بالأمل ذاتـــه- فـــى حكـــم ينصـــف المظلوم- والقضية تكون مركونة لسنوات طوال،معروضـــة على المحاكم، الحكم فيها يعنى الكثير لذلك الإنسان. الـــذى هو ينقسم إلى أشياء معنوية، وأشياء مادية، وأشياء تهمـــه داخليا، وظاهريا. أشياء تجعله يموت قرير العين!

شئ يرتبط بالروح المعلقة التى تنتظــــر بشـــغف منطـــوق الحكم..
وفى حالات كثيرة.. يعتاد الإنسان تلك الحياة التـــــى لاهـــى موت.. ولاهى حياة..
فمن ينتظر شيئا معلقا.. سينتظر.. وأيام الإنتظار تتفتت إلى ساعات ثقيلة.. يقاومها بمزيد من الأمل..

○ .. وتلك الحياة الوسط.. وروح الإنسان معلقـــة،فـــلا ثقافة أو تعليم ينفع فيها. ولا قوانين تتبعها.. يكون الإنسان فيها بالجانب المضاد.. خارج النظام الإجتمـــاعى.. فتحـــدث المشكلات التى تسبب الإزعاج للسادة المخططين..
لكن إذا.. فرغت المحاكم من تلال القضايا..وإنتهـــت إلـــى حالة.. يعرف فيها الإنسان رأسه من رجليه، فقـــد يمـــوت الشخص "كلية" بعد سماع حكم المحكمة.. خاصة إذا صـــدر الحكم لصالحه..
"يضحك فى جزل، أو يحملق فى الفراغ، ثم يطوح برأسه فى إتجاه الأرض ويتوسدها إلى الأبد."

.. فيما يطلق عليه -الموت من الضحك- أو المـــوت السعيد.وحالات أخرى تســـتقبل منطـــوق الحكـــم.. فيفتـــح الشخص فاه.. ويرفع يديها إلى السماء.. ثم يموت متجمـــداً على هذه الصورة المبتهلة، فيما يطلق عليه "الموت علـــى روحه"..
أو الموت على حاله..
" ناهيك من ستصدر الأحكام ضدهم.. فيموتون حزنا وكمـــداً فى ساعتهم وتـــاريخهم. وبذلـــك.. يتـــم تخفيـــف الكثافـــة السكانية.. ويكون فى مقدور المخططين.. ملاحقة المشـــاكل الأخرى بالتنظيم والإدارة..!

المعارضة تأتى من المحامين

وبعض المتهمين

[٢]

.. مع أن فكرة تنشيط القضـــاة بدنيــا.. بتعلمهـم السباحة كان الغرض منها- بجانب حمايتهم مــن أمــراض العفن بالأوراق. والحبر الزفر.. ســرعة البـت فـى تـلال القضايا.. ليعمل الموت عمله.. ويتم تخفيف الكثافة السكانية بالمدينة.ويقضى على مشــاكلها، إلا أن الفكـرة اســتغلت سياحيا. فقد وجدت من يعارضها معارضة شديدة. كان فــى مقدمة معارضيها،فئة من المحامين،يرون فى تراكم القضايا، وتعطل المحاكم، فائدة لهم،فى سرسبة أموال المتقــاضين.. وثمة بعض المتهمين يرون فى "التسويف" فرصتهم المرتقبة فى أن تتبدل الأحوال لصالحهم، ويفلتون من العقاب الــذى ينتظرهم..!

□.. وعدد كبير من القضاة،كانوا بعـد السـباحة فـى الميناء الشرقية.. يدخلون إلى مبنى المحكمة فى زفة مــن المشاهدين،ولديهم إحساس "لواء فى الجيش" يســير بيــن كتائبه المتراصة. إنتباه..!

..لكن بمرور الوقت، فقد القضاة هذا الإحساس، وباتوا لايستشــعرونه.. ونظــرات الحــزن تــتراكم فــى عيــون مستشاريهم،والذين يتعلقون بالأمل من المنقاضين..

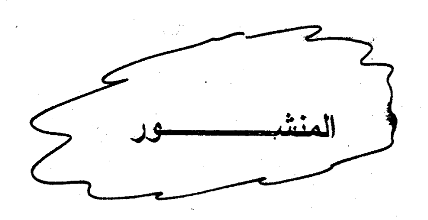
□ .. وإذا ما دخل القاضى ووقف له الجميع.. نظر إليهم فى ملل، وقال فى قرف.. للحاجب.. "نادى علـــى القضيــة الأولى يا إبنى وخلصنا"

والرول يزدحم بالقضايا.. التى لو استغرق نظر كل قضيــة منها خمسة دقائق، إحتاج القاضى إلى ثلاثة أيام من العمــل

الشاق يومياً.. لذا يصيح الحاجب باسم المدعى والمدعى عليه
فإذا بالطرفين.. يصيحان..
- "برئ يا باشا" .. "مظلوم يا بيه"
يسارع القاضى ويؤشر بالتأجيل.. ليرى من البرئ.. ومن المظلوم؟ وينتقل إلى القضية الأخرى..
- "برئ يا باشا" .. "مظلوم يا بيه"
يؤشر بالتأجيل.. وينتقل إلى ما بعدها.
حتى ينقضى يوم القضايا فى التأجيلات إلى يوم آخر..

□ ..القضايا جميعها تؤجل.. والناس ستبقى عائشة.. تحيا بالأمل، ويرهق القضاة وأعوانهم.. ويفقدون توقدهم الذهنى..
وتنطفئ المرئيات أمامهم.. تدريجيا..

□ .. وإذا ما رفعت الجلسة.. خصص لكل قاض، أربعة من الفراشين الأشداء.. حملوه مرابعة بين أيديهم ونزلوا به إلى سيارة مخصصة لنقل القضاة المرهقين إلى منازلهم..
قد يفيق القاضى أثناء الطريق..
أو قد تتسلمه زوجته وأنفاسه "داخلة طالعة"..
ويكون من الضرورى على سيارات النقل.. سرعة تسليم القضاة إلى ذويهم..
فالقضاة الذين يموتون فى الطريق..
سيقوم أهله بتكليف عدد من المحامين برفع قضايا التعويض ضد الدولة.
وتكلف الدوله عدداً من المحامين للدفاع عن "الدولة" لتخفيض التعويضات..
وقد يزيد ذلك من تلال القضايا التى لاضرورة لها.. ؟



ركن سيارته بمرآب الفندق الكبير، عندما هم بالنزول، ظل متجمداً، قابضاً على عجلة القيادة بقوة، تجتاحه حالة مــــن التردد، مشوبة بكثير من الرهبة والمحاذير!

هل يخاطر ويقفز علـــى مشـــاعرة ويتقـــابل مـــع "العميل" المحصن بالدبلوماسية المســـنودة بـــالقوة العظمى .. أم يعود من حيث أتى؟

الإستيقاظ من الغفوة، ولكل منهما حيثياته التـــى يرتكز عليها. والحالتان هنا متعادلتان كالمسافة بيـــن قمـــة وقاع ... والتمهل لحظة، كان من أجل إستيعاب الموقف ... فاللقاءات المصيرية قد تفسدها لحظة هرولة غير محســـوبة .. أو قد يفسرها تأخر فى الإستجابة، ينقـــص الكثـــير مـــن درجاتها ..

وفى كل الأحوال، فهو قد وصل فى الموعد المحـــدد، وفـــى امكانه أن يخلص ظهره الذى ألصقه فى مســـند المقعـــد . تنفس بعمق، ومع ذلك ظل متشبثا بعجلة القيادة .. وكأنهـــا عجلة النجاة من غرق، يجوس فى ذهنه خاطر، بأن يبـــدأ فى التراجع قبل أن يغلق عليه أحدهم طريق العودة ..

يعود من حيث أتى .. لكنه إذ تذكرها .. واستعاد لمساتها وعطرها .. ارتخت قبضته، سدت عليه طريق العـــودة .. يكاد يسمع همسها فى أذنه:

"لا يتطلب الأمر منك – وأنت الكاتب الكبير الحـــاذق – إلا أن تتناول المواضيع المطلوب التركيز عليها، من الزاوية التى

ترضيهم .. المطلوب منك أن لا تدخل فى لب المواضيع التى تغضبهم، ثمة تفاصيل محايدة تفسر على أكثر من وجه.
أنظر .. اذا ما سيطرت الصهيونية على أجهزة الإعــــلام .. فرضت على المتلقى مجموعة من الفنانين والكتاب والعلماء والمخترعين والمكتشفين .. وحتى المهرجين .. جميعهم من اليهود .. وكأن العالم بدون هذا الجنس .. سيكون مختلفـــا ومنحطا وجاهلا .. من يقدمهم، سيقدمهم من الزاوية التى ترضيه هو .. ولكن اذا قدمهم، واهتم بهم فى صحيفتــــه .. ستأتى إليه الإعلانات والمساعدات الخفية .. واذا ما كـــان اهتمامك بآخر .. فلك حرية أن تكتب عن "هتــلر" .. لكـن اذكر الهيلوكست. سطرا واحدا لا يضر .. أن تذكر كيف كان يحرق اليهود فى أفران ..لكن لا تذكر شـــيئا عــن أســباب الحرق- صور هتلر مجنونا واسقط الأسباب التى تتكرر ضد اليهود فى بقاع كثيرة من العالم، لاتذكر لعبتهم،اللعب علـــى معظم الحبال الجيدة المتينة، حتى اذا انقطع واحـــد، يتبقـــى حبل آخر، أو عدة حبال تصون متسلق الجبال حتى لا يلقى حتفه ـ فى هذا العمل المعتاد .. لن يستطيع أحد أن يتهمك "عميلا صهيونيا".. من هذا الذى يتهم أديـــبا أو نـــاقدا .. أن يكتب يوميا عن كافكا .. أو يكتب يوميا عن آينشتاين.. لكن تجنب أن تكتب عن الطريقة التى تسللوا بها الى فلسطين .. وكيف سلبوا وطن .. ووعد بلفور .. قابلتـــه العديـــد مـــن الوعود للعرب،كيف جعلوا له أجنحة من حديد ورصاص ودم. كيف ثابر اليهود ومنظماتهم التى تعمل فى عـــدة مجـــالات متناسقة . يرافق الدبلوماسية .. الجاسوسية والإرهـــاب .. ومن لم يبع نفسه بالمال أو الجنس والرشوة .. اليد الخفية الباطشة ستضيق عليه الخناق .. حتى يختنق .. وقد يموت برصاصة ثمنها عشر بنسات. انظر يا عزيزى .. لـــم يعـد صاحب الخزانة .. حامل دفتر الشيكات يهتم بالأغبياء .. كما لم يعد يتعامل مع الجواسيس، لكى يدربهـــم علـــى الكتابـــة

بالحبر السرى، وكيف يرسلون برسائلهم .. ثورة الإتصالات والانفتاح الذى فرض على الجميع، والتطور الخطير فى أجهزة الاتصال، أدى إلى إدخال الجاسوس القديم الى المتحف ..

.. كما أن إعلان الولاء الشديد للأسياد بصورة مبالغ فيها.. يفقد أصحاب هذا الولاء - دورهم الجديد - لقد صار الأسياد الجدد فى أشد الحاجة لأمثالك .. من الكتاب المشهود عنهم "المعارضة"، ولن يكون المطلوب منك أن تؤيد أو تدفع الآخرين لتأييد نموذج الحياة الامريكية أو الصهيونية .. لا، بل لك أن تبدأ بنقدهم، والتشكيك فى ديمقراطيتهم. وهم سيتيحون لك الفرصة متسعة لتسبهم .. سبهم وأقبض، ألعنهم وحدد رقم الحساب الذى يرسلون إليك فيه الدولارات. لابد وأن تكون عدوهم الأعظم .. وقضيتك تدميرهم .. المطلوب منك فى دورك الجديد أن تزايد فى المزاد .. أن تكون أكثر ثورية مما هو مطلوب .. نعم تزايد لدرجة المستحيل ..!

أجدك تنظر إلى مندهشا .. كيف يكون لمن يزايد فى ثورته عميلا مبجلا .. يدفع له الاسياد أجره.؟

ذلك ببساطة يا عزيزى .. هو كل المطلوب منك .أن تقفز .. القفزات المستحيلة .. القفز إلى المستحيل، يجعل لك شعبية عظيمة "فالشعوب يلهب حماسها المستحيل .. كأن تقول "سوف تدمر أمريكا" وأنت لاتملك صناعة سلاحك. أما اذا بدأت بصناعة سلاحك، وأخذت عملية التصنيع بجدية، وثبت فى احتلال مكانك فى السوق .. بأن تبدأ بالسوق العربية المشتركة ,, فهذا منتهى الخطورة عليهم، , ذلك قد يؤدى إلى تدمير القوة العظمى بالفعل .. أعنى - قد يطيش صواب الاستعمار - اذا ما عاد التفكير فى الوحدة العربية أن تبدأ "اقتصادية". لكن اذا ما قفزت على الوحدة الممكنة

الى الوحدة المستحيلة .. بأن تطلق شـــعار "وحـــدة الـــدول الافريقية مثلا .." أو وحدة العالم الاسلامى "فإن ذلك سيثلج صدر "الامبريالية" اذ أن الخطوات للوصـــول الـــى تحقيـــق شعارات المستحيل سيحتاج إلى مئات السنين..
الخطورة أنه تبدأ بالممكن .. ســـوف تصلـــك الإحتجاجـــات الفورية عقب إذاعة الخبر، يحاصرون ويهددون الدول التى تحاول الإفلات .. تحاول استخدام الممكن ..!
* أى أن المطلوب منك .. عدم الوقوف طويلا أمام الحلـــول المناسبة،والمطالبة بـــأن ينشـــغل النـــاس بالمســـتحيل .. المؤجل. والبعيد .. اظنك الآن فهمت ..؟
* .. هذا الدور له ثمن .. وسوف يوصى بوضعـــك رئيســـا لتحرير الصحيفة التى تتمناها .. أما اذا كنت غير مستعد .. فهناك دور آخر .. لك .. وسوف يكون مدفوع الأجر أيضـــا لكن ليس كالدور الرئيسى،الدور التالى فـــى الأهميـــة أن تجمد نضالك عند النقطة التى وصلت اليها .. وتعمـــل فـــى محيطك الثقافى .. بأن تشغل الأدباء والكتاب بقضايا فرعية تثار كالدخان .. أن يكون هناك طحن، لكن لا ينتج دقيقـــا .. لك أن تقلب فيما فات، وتثير الزوابع،تأتى بقضايـــا قديمـــة وتشعل فيها النيران،الشيعة والسنة. الفتنة الكبرى-الشعوبية والعروبة.. الأسياد والموالى.. ثمة قضايا عديدة .. تتحـــدث عن المسليات،سوف تجد كثيرا من الذكريات التى يتسلى بها القراء .. فقط من حين إلى آخر .. اذكر بأن من المســـتحيل هزيمتهم .. ولا تذكر تجربة فيتنام .. ولا تذكر شـــيئا عـــن الصين وثورتها الوطنية .. ثم ثورتها الثقافية .. وحاذر أن تكون لك قضية محددة.. ففى امكانك اشاعة المذاهب الأدبية والإبداعية التى شاعت فى أوربا .. على أنها أرقى أنـــواع الثقافة للدول النامية .. نعم، كلما ضيعت على الناس وقتهم وألهيتهم .. فإن المكافآت ستصل لك بانتظام فى حســـابك، وكما ترى .. "العمالة الجديدة" .. لا تعرضك للإعدام .. كما

حالات التجسس القديمة .. أنها عمالة تحتاج المناضلين من أمثالك، ولا أظن فى ذلك .."سقوطا واضحا !!

* * *

• حالة السقوط كانت مبررة سلفا .. فقد ضيقوا عليه الخناق لفترة كافية بعملاء يبدون فى حالتهم الجديدة مواطنين أشرف منه .. والفترة طالت، حتى أمكن تبديل معظم الدماء فى شرايينه .. ليتحول إلى خليط غريب من البلازما والكحول ..

جعلوه بعد أن كان .. وكان .. يرضخ ليقف فى طابور الانتظار .. ويوافق على عقد عمل فى إحدى الامارات أو المشيخات التى كان يسخر من طريقة الحكم الساذجة فيها ..

وهناك وجد أصابعهم تحرك العرائس الماريونيت. لم يطق الجدران التى تطبق على أنفاسه وتمضى فيها أيامه مع المكيفات. والغيبوبة ..

سافر إلى بيروت ..

• والتقى بها.. امرأة لديها كل مواصفات الغانية اللعوب .. حديثها فى السياسة والثقافة إدمان .. تحفظ كثيرا من الكلمات المأثورة .. من كتاباته هو بالذات.. وأبيات من الشعر .. يحتفى بها الجميع على كافة المنصات الثقافية .. وعدد من الكتاب كتبوا عنها .. رغم لم يكن لها ابداعا .. هى دائما محاطة بكبار الكتاب والأدباء والناشرين والمنتجين السينمائين .. والمؤلفين والمخرجين. صاحبة مشاريع ثقافية .. يشار اليها بأنها صاحبة "منهج" من الذين يحفرون لأنفسهم مسلكا فلسفيا فى الحياة !

آنس فى رقتها وحشة الإغتراب .. ثم تآنس فى أحضانها مع كآبة الحصار بداخل بلده .. وفى مجالها الحيوى .. بدت أنها عاشقة متيمة به. أقنعته بأن ما لها، هو ماله، ودفتر

شيكاتها يقدم له على بياض .. ولمحت لـــه بأنـــه اذا تبـــع نصيحتها .. قد يعوض الذى فقده مضاعفا .. ولمحت له، أن يتأنق كما كان.. وأن لا يتواضع .. عليـــه أن ينفـــق علـــى الخدم والأتباع اكثر مما كان يفعل، ينزل فى أفضل الفنادق، حتى يستعيد .. رونق اسمه القديم .. كان يفعل ما تقترحـــه، دون مناقشة فى التفاصيل .

سألته وهو فى احضانها:

- ما الذى يدعوك أن تقف فى الجانب الخاسر؟

ذلك الجانب الذى لا يوجد له - صاحب - يدفع ثمن جهودك .. لا تقل الشعب .. "طظ فى الشعب." هذه كلمـــات قديمة ليس لها مجال فى عالمنا الجديد-وعندما لـــم يخضع ويغادر أحضانها، وقصرها وبلدتها.. عركت شفتيه، وهـــى تعبث بشعر رأس موضوعها الإبداعى الجديد .. الموضـــوع الذى إستكان ولان فى يدها ..

ولما عاد الكاتب إلى بلده. كانت التوصيات قد سبقته. وجد فى المطار من ينتظره من الدار الصحفيـــة الكـــبرى، التـــى جمدته يوما .. وجعلت الإعلانـــات تزحـــف علـــى عمـــوده اليومى.. ومقاله الإسبوعى ..

أستقبله فى المطار مدير مكتبه . بصفته رئيســـا لتحريـــر العدد الإسبوعى .. وهنا أدرك بأنهم لا يلهون .. فالذى يقال على الوسائد، وتحت الأغطية، وفى الحجرات المغلقة .. ينفـــذ على الفور .. وأدرك أيضا أنهم "فرسان المرحلة" التى يتفكك فيها العرب رغم تآلفهم .. ويتوحد فيها الأوربيـــون رغـــم تنازعهم !

كان مقاله الأول يدور حول "دوخة البلجيـــك" فـــى معاول موضوعى لدوخته الأخيرة ..!

وكان مقاله الثانى يتضمن لعبة الأوراق التى بيـــد الدولة العظمى .. وأثبت بأن ولا ورقة فى يد الدول العربية.

وكان مقاله الثالث عن شخصية حسن خليل رئيس المباحث الجنائية العسكرية -الذى لم يعد أحد يذكره ..
مع وصف دقيق للسجن الحربى على أيام عبد الناصر، ومذكرة تفصلية عن قرار الاعتقال، وحبس المناضلين أيام "الديكتاتورية" التى تمسحت بالشعب العامل!!

* * *

وبدا أن "المناضل" قد فهم ما هو مطلوب منه، وأنه بدأ العمل - والكاتب الكبير - بدون نقاش صريح، سيعرف كيف يسدد الثمن .. وأرسلت المكآفات إلى رقم حسابه دون إعتبار لأجره الجديد ومميزاته .. قام بسداد ديونه، واشترى شقة تجاور الشقة التى فقدها .. ولكنها لا تطل على النيل إلا اذا مال بجزءه خارج الشرفه ليتخطى ذلك البروز الذى زحمه صاحبه بالأصص المزروعة بالنباتات شديدة الخضرة شمعية الأوراق، كأنها من البلاستيك!

* * *

لما حلت - الغانية - التى تغرم بالثقافة المحفوظة بالفندق الكبير - اتصلت مع الخلوى بإبداعها الجديد اخطرته أنها جاءت مع مستر "إكس" الذى يرغب بشدة فى اللقاء به ..
والكاتب الكبير يعلم أن "إكس" يعنى شيئا .. وفى نفس الوقت لا يعنى شخصا محدداً .. إلا أذا شاهدته بنفسك ..
ويعنى أيضاً انها جاءت، ليمضى معها بعض الليالى التى عودته عليها ..
كان قد اشترى سيارة جديدة .. وكان قد عاد يتطلع إلى شراء شقته القديمة التى كانت تطل على النيل مباشرة .. وكانت قد وعدته بلقاء مستر إكس الذى سيسلمه

كلمة سر مغارة على بابا .. التى لم تعد – إفتح يا سمسسسم
وصارت – اركع ياسمسسم !

كان قد كتب المقال الرابع .. حول تعثر المعونة السنوية فى لجان الكونجرس .. وفى ذلك إعلان لمن لا يعلمون أن أمريكا تساعد مصر، فلا يتمادى. وقد تجاهل العديد من القضايا الملحة .. فالضعف يرد عليه باتخاذ سبل القوة. والبطالة بالعمل .. والتسول بشحذ الكرامة، وربط الحجارة على البطون .. حتى يعمل الجميع .. ولا يتقاعسون وينتظرون الإحسان المهدد بالزوال كل عام .. ويحرص بالمقال الثمن الباهظ ـ المقال مهجن ، يردع ويشيع الإحباط !

كان من الذكاء أن يعرف أنهم منتشرون فى كل مكان . يشترون من يتخلى عن وظيفته. . يدفعون لمن يتخلى عن قوميته.. يدفعون لمن يتاجر بالوطنية، والقومية. فيما لا طائل وراءه .. ذلك الذى يدعو للوحدة – وإذا اتجهت الشعوب إليها .. تجد أنه يقصد .. "أن كل شخص يكون فى حاله وحيداً !"

وخطر له .. لماذا يندفع لمقابلة مستر إكس فى الوقت الذى حددته له المرأة ..؟

سيدعى بأنه شاهد عددا من المعارضين فى ردهة الفندق، فاضطر إلى العودة .. واللقاء يتم كما يحدده هو .. فى وقت آخر.. لابد وأن يتدلل قليلا !

فى الواقع، لم يكن متحمسا لمقابلة "إكس" .. إذ يخشى أن يكون "شخصية" ..قد يشاهدها يوميا.. فيتحول ما يبتلعه، إلى غصات يومية ـ لماذا يأتون بإكس من وراء البحار ؟!

* * *

الكاتب الكبير قام بتشغيل السيارة، نظر إلى الخلف وتهيأ للعودة .. كان فى حاجة إلى بعض الوقت – ليصل إلى صفافة العملاء .. حتى إذا كان قد سقط .. فلا أقل أن يعرف

أين سيسقط تحديداً. لكنها ظهرت أمامه فجأة .. ملأ وجهها الجميل الزجاج الأمامى لسيارته .. كانت قد أتت من المطار. دون مستر إكس.. وشاهدت سيارة الكاتب الكبير وهو بداخلها.

وجد نفسه يبتسم فى وجهها .. ووجد نفسه ينزل من السيارة ويحتضن يدها ويضعها تحت أبطه ويمضى بها إلى الفندق قاصدا جناحها .. تنفس الصعداء أن إكس هذا لم يحضر .. كانت تسير معه وتتأمل سيارته الجديدة وتضحك لها .. وله..

* * *

بينما كان فى قمة نشاطه الإنسانى معها .. خطر له خاطر أنه لم يغلق باب السيارة .. ومفتاحها بها .. انزعج .. ارتدى ملابسه سريعا، وهب إلى المرآب .. ولم يجد السيارة فى مكانها، إنهار مكانه .. متساندا على سيارات جديدة فخيمة .. كأن يعانى من غضب ممزوج بالحزن والألم .. كانت قد لحقت به ، ربتت على كتفه وقالت:

– لابأس يا عزيزى .. إذا لم تعد لك – اشتر أخرى

وعندما التفت اليها منزعجا قالت ضاحكة:

– مستر إكس سيأتى غدا .. أو بعد غد .. انه مغرم بالمناضلين من أمثالك وضحكت وأحتضنته ناسية أنها ليست فى أوربا

* * *

عاد الكاتب الكبير الى شقته التى تجاور الشقة التى فقدها اثناء الحصار .. وقد عثرت الشرطة على سيارته فاقدة بعض ملحقاتها .. كان سعيداً .. أنه قبض ثمنها، ثم عادت إليه ..

كان يفكر فى الشقة التى تقع على النيل مباشرة، الشــقة التى كانت له بإيجار تافه عندما كان ناراً على الاستعمار ..! -

فى هذه اللحظة بالذات. وهو منتش بالســعادة .. ود أن يلقى نظرة على النيل .. أنه لا يشــاهد النيــل إلا اذا مــال بجزعه خارج الشرفة، ليتخطى بروز من الأزهار والنباتــات الشمعية ..

كان لا يزال بملابس السهرة .. السموكن ومستلزماته مع البرنيقة.. أعتقد الآن أنه أكثر نشاطا من أى وقت مضى، أزاد الميل بجذعه فى الهواء.. اختل توازنــه .. لكنــه ســارع وتعلق بإفريز الشرفة .. جسمه كله صار معلقا فى الفضاء، ينظر تحته فيجد حركة السيارات، والبشــر، علــى مبعــدة عشرة طوابق..

لا أحد ينظر اليه، وهو يصيح ويســتغيث .. هــو وحده الذى كان يسمع صوته .. حتى بح وخفت ..

وقد صار الكاتب الكبير منشورا علــى الشــرفة، ومعلقا فى إفريزها .. منذ إختل توازنه وحتى يومنا هذا ..

والناس يظنون أن الكاتب الكبــير الــذى اســتعاد مكانته.. قد علق فى إفريز الشرفة .. لعبة بالحجم الطبيعــى لرجل فى ملابس السهرة .. يتأرجح بفعل الهواء ..

ونظرا لإستمرار الإنفتاح .. مســتر إكــس يــأتى ويعوده ثم يأتى ويعود، فى إنتظار الكاتب المنشور..!

نار الحروف

[صاحبتي، أديبة تغرم بالحداثة.. تظن أن الحداثة في الأدب هي قطع كل صلة تربطنا بالماضي.. والعبور علي كل مـــا يوثقنا بالعادات القديمة..
واذا ما سردت في قصصي أول الحكاية، طـــالبتني بذيلهـــا وقالت لي:
-إذا كنت تريد أن تكون حداثيا.. انثر علي ابداعك شيئا من الغموض..
و أخذت توصيني بأن أصب اهتمامي علي الوسيلة، وبقـــدر الأمكان أخفي الهدف- حتي اتناساة.. و تسألني:
-ألا تريد أن تكون حداثيا؟!]

****

• صاحبتي لا تدري كيف شكلتني الحروف.. لا تعلم أن أول النار جاءت من أشتعال الحروف في كيـــاني، فـــألتهب خيالي بالمعرفة.. حدث ذلك منذ أضفيت علي الكلمات قواعد لغتى المدهشة، فانصهرت المعاني بداخلى، تحولت الي سائل حارق، إذا ما تجرعتة دفعة وحادة دمر سقف حلقي. شل قدرتي علي النطق الصحيح. وقد يصيب رأسى بضغط الدم، فتتجمد الفكرة تصير مقدسة، لا أجرؤ علي شلح غطاءها.. أو فض بكارتها.. أدور حولها متعبدا فـــي حالـــة "ايمـــان" متوارث.وقد تكتنف حالة الدوران، حالة من الملل؛ فـــأزهد الدنيا، وما فيها. ذلك قد يسـلمني لريـــح الصمـــت، وبـــرد

الخنوع. أتجمد. أصير نتفاً من الثلج الذي لا يهبـــط فــي اجواءنا الحارة إلا مع الليل البهيــم.. حرارتنــا تبخرنــى.. تكثفنى على الأسطح الباردة رذاذاً يتساقط مع ندي الفجر.. ولعلى أتبين؛ أن عادات قبيلتي ..
منعت الناس من أنتظار الفجر.. فالعشاق يتـــوارون خلــف الجدران الغليظة؛ فلا أملك من أول الليل حتي أخـــره، إلا أن أتساقط كرذاذ لا يري.. انا ايضا أتـــوارى فـــي الضبـــاب. والمساء. و إذا جاء النهار؛ بدأ الهجير؛ تبينت أن البرودة في أعماقي.. تتعادل الأشياء.. الداخل مع الخـــارج.. يتبـــادلان الحرارة.. بصورة تصير احدي سماتي المميزة.. فيقال عني " الاوسطي"
.. ذلك الذي لا يحرق إلا مكانة..
ولا يشعل النار الا في نفسة..
ذلك الذي ينزلق علي سطح الكاف فيصير كما صورة الياء.. ياء الأوزة التي ترق -لفرط جمالها- القلوب.. فيطعمونهـــا بالطعام الشهي؛ وبخطواتها، أصل الي اللقاء الحميـــم مـــع العين و الغين؛ فأجد ضالتي في الرحـــم الموجـــوع بـــالذال والدال، نمتطى معهما السين والشين..!

.. لكن اذا ما عدت الـــي اليـــاء.. دجاجـــة مدجنـــة.. الحراس من حولها "لام ألف". لاأحد يهتم بي، وأنا أســـرح في باحة الدار أتلقط الحروف الضالة. أشرب مـــن طبـــق الباء والتاء والثاء. لكنهم اذا مـــا طردونـــي -لا يدركـــون أحيانا، أنني لا أتناسى الثأر- أعود للتحدي.. أنصهـــر مـــع المعاني، التي تخفيها لغتي عـــن الذيـــن لا يتقنـــون نطـــق الضاد.. ضادا..
فتتسرب في اعماقي التحذيرات والنواهي.. لتختفي لغتـــي خلف أكمة القضايا المهمة.. أتفرغ لإحصاء العدد اللانهائي من العُقد.. كل عُقدة لها أكثر من حل، وكل حل يختلف حوله

عددا من المتفقهين، فتزداد العقد تعقيـــدا.. لكــي يسـلمني الأرق الي لعبه الغصون والأوراق، المنحنيات والدوائر التي لم يجرمها أحد. فأتخيل الغابة خالية من البشر.. لا يوجد بها الا الحيوانات.إذا حاول المصور أن يصور المشهد، فليـــس أمامة الا الجمال والنعام والأسود والمها..

يثار في ذهني سؤال.. أود أن اسألة لمن أطلق تحريم رسم صورة الانسان -ألم يخلق الله الحيوان والشجر..؟!

ولكني أمام زحف الطبيعة العكسى.. أجـــد فيهـــا الـــبرودة الشديدة، والحرارة الشديدة.. أجد أنهـــا شــكلت الأمزجـــة والقناعات، فهناك أقصي التطرف يمينا، أو يسارا..

ذلك يقنعني بأن أخرج نفسي من وراء خط العداء.. أرفع من قدرتي علي التلون. أصنع من الالوان السبعة.. الف لـــون. وكل لون يمنحني مائة ألف فكرة.. وفـــي ظنـــي، أننـــي اذا واصلت العمل.. حسمت صـــراع الإرادات.. ذلــك الصـــراع الدائم بين الطبيعة، والعقل- ذلك الإنسان الذي لا يهدأ لــــة أوار..!

* وأحيانا؛ يظنون أنني حبيس لغة ميتة.. ولكن لغتـــي لا ذنب لها.. فنحن الذين نتجاهلها، ولا نبني بهـــا مداميـــك ثقافة العصر.. وإذا ما رفعت جذعي فوق جـــدران الـــلام.. امكنني أن أشاهد من أعلـــي الجـــذع.. القـــلاع القديمـــة.. بأحجارها المنخورة.. اقرأ تاريخها، وأستوعب أمجادهـــا.. عبر الصحاري الممتدة الي ما لا نهاية.. لا أثـــار فيهـــا الا لأبراج من حديد.. تستخرج خام الزيت، تهدية للغرباء..ثـــم أمواج متلاطمة من الكثبان الرملية.. تتخللها أنابيب.. تضخ زيتها الي الموانئ البعيدة، شريان حيوى من شـــرقي الـــي غربهم. يذهب أسود اللون يميل الي الزرقة فيشـــعل فيهـــم الحركة، يغمرهم في الأضـــواء.. واذا بـــأرجلهم يصيبهـــا الجنون.. ينهبون الشوارع والأرصفة عـــدوا وزحامـــا.. لا

يتلكأون أمام الدكاكين.. لا يتريثون أمام زحام المعروضات.. في سرعتهم الخاطفة، يهبطون، ويطلعون علي سلالم متحركة لمترو الأنفاق..
وفي شوارعهم؛ ترتفع البنايات؛ لتغيب نهايتها في السحب واذا ما أضيئت المصابيح؛ يتحول ليلهم لألف نهار.. ليرقصوا ويتعانقوا؛ يتحابوا؛ لإذابة ما في عروقهم من دهون، وعقب الرقصات، والضمات،تتوحد الأجسام في غيبوبة التشنج...أنهم يعبون من زيتنا حتي الثمالة.. وفي كل صباح جديد يستعيدون نشاطهم ويشرعون في حركتهم المجنونة. اتبين أن نشاطهم الزائد يولد أنشطة أزيد في كافة المجالات. أقول لنفسي: "لعلة البرد الشديد.. اذا ما همدت الأجسام أصيبت بالتجمد.. لذا يميلون الي اللحوم ذات الدهون الذائدة.. بينما نحن في حرارة طقسنا نتقوت بالحروف.. فلا يصيبنا الا نشاط عقلي زائد، مع همود في باقي الأعضاء.. لذا فقد ابتعت من سوقهم المشروب الخفيف.. لابد وأن أغلق علية جيدا، حتي لا يتبخر في الهواء.. هم الذين يبيعون لي الشراب الممسوس بنزوات الشياطين.. كي يحملني عن الأرض فلا تطولها فأسي.. يحملني الي طيات الماضي فلا أشاهد في مدني مداخن المصانع.. متجاورة مع المآذن السامقة.. أعتاد علي شرابهم.. وعلي ملابسهم.. وعلي عادتهم .. وعلي ذوقهم في أختيار كل شئ.. فأرتدي الملابس الصوفية الثقيلة في عز حر بلادي. وازحم مائدتي بطعامهم البروتيني الدهني، فإذا لم ينصرف بالحركة، كورني وجعل من هيئتي.. معدة كبيرة ذات اطراف قصيرة.. ومنحنى تلك الهيئة العجيبة. ترتدي الملابس الجينز وتضع في أقدامها الكوتشو الأصلي.. واذا لم تسعفني الحركة لأبعد.. صرت متجمدا أمام مائدة مزدحمة بالتفاح الأحمر، والكانتالوب واللحوم

المجمدة، وزجاجات الشراب الخفيف الذي لابد وأن أحـــافظ عليها مغلقة حتي أتجرعها علي دفعات..

ومع أنني أعلم بأن -تلك العادات- تلائم الذين يعيشون في الثلوج، ولا تلائم الذين يتقوتون الحروف.. والعبارات.. ألا أن براعتهم جعلتني مستهلكاً لبضاعتهم. لاستطيع الفكاك من أتفاقيات الشراء.. استخدام بضـــائعهم.. طبقـــا للإتفاقيـــات الدولية.. صرت آكل إلي حد التخمة.. أكل بثمن زيتي.. والا تجمدت أرصدتي في بنوكهم..!

.. ولأني صاحب نشاط عقلي -هو نشاطي الوحيد في الآونة الأخيرة- فقد كنت أدرك بأنني مقبل علي ذبحة صدريـــة... وفاة بالسكتة القلبية.. ولم يعد أمامي الا أن أقرن مذكـــرة أضافية بالاتفاقيات السابقة معهم ..

"أن اعالج فى مستشفياتهم الراقية.. وأن يوفرون لى الدواء الفعال... والنقاهة الواجبة.."

وبالطبع لم أكن أذكر التفاصيل التى كانوا يجيدون تنفيذها.. عندما تكون الإقامة فى مستشفياتهم أغلـــى مـــن الفنـــادق الممتازة، وتستبدل الحكيمات الجامدات الوجوه بمجموعـــة من عارضات الأزياء الجميلات. والفنانـــات المحترفـــات.. صاحبات الأبدان التى يتعثر أمامهـــا الشـــيطان ويتلعثـــم.. يقدمونها لى:

-"هيز سستر".. ستقوم بخدمتك.. سترتاح معها.

وإذا ما نظرت إليها ظننت أنها الشـــقيقة الصغـــيرة لملكـــة الإغراء الراحلة، تبتسم فى وجهى وتقول:

-دعنى أهتم بك..

وتشرع فى مباشرة عملها.. مع كل ضمة أجد نفسى أغمغم:

-آه يا ماى سستر.. كيف أنجو بحروفى؛فلا تذوب فى دفء أحضانك؟

جمالها الصارخ يمنعنى من ترجمة كلمة "أخت" إلـــى لغتـــى فلتبقى (سستر) كما هى فى لغتها، حتى لا تقف ســـداً أمـــام علاجى الحاسم.. إنها فاتنة إلى حد الغيبوبة.. ومـــن هنـــا سيكون علىّ أن أقف طويلاً أمام معـــانى الكلمـــات، عندمـــا إنخرط فى أحضانها كحرف الهاء.. لتعود إلىّ معرفتى الحقة بأوجاع الحروف.. وأدرك بأن ثمة لغة عالمية.. من أجلها.. كانت كل القصص.. مستساغة الموضوع.. فيها ذلك الحـــب الذى يذوب فى كل اللغات.. الحب الذى يختلف كثـــيراً عـــن "الهيمنة" التى لابد وأن تتخفى فى كثير من المصطلحـــات.. إذا قلت لصاحبتى:

-أليست هذه حداثة؟

قالت: أنا أقصد ما بعد الحداثة..!

فى محاولة مستميتة منها لإطفاء نار حروفى، وتحويلها إلى أوجاع دائمة!

أقنعة الصفاقة-المدهشة

□ .. ما حدث أثار الدهشة.. والدهشة ألجمت الألسنة.
مع أن الصحافيين ألسنتهم خارج حلوقهم، إلا أن للمفاجـــأة
وقعها الشديد على النفوس..
معظم العاملين بالمؤسسة الصحفية، بهتوا وهم يشـــاهدون
رجال الأمن- بسيارتهم، ونزولهـــم المتســـربع،وإقتحـــامهم
المكان من كافة المنافذ.. بعضهم يدخل إلىالمبنى..وبعضهم
يبقى حارسا فى مكانه، يلقى القبض على من يفلت، يوقفــه
ويتأكد من تفتيشه جيداً..

..القوه نفذت ما تدربـــت عليـــه، ضربـــت حـــول
"المؤسسة" حصاراً محكما، شـــمل أبـــواب إدارة التحريـــر.
وأبواب المطبعة.ومخازن الورق- ومن كلفـــوا بـــالتفتيش
تسربوا إلى الداخل. فتشوا الجميع دون استثناء، ولم يلتفتوا
إلى حالات الاحتجاج والتهديد برفع ما يحـــدث إلـــى أعلـــى
المستويات..
[.. فى ظن بعض الصحافيين بأنهم سلطة تأخذ رقمـــا فـــى
ترتيب السلطات.. وأن لهم مكانتهم وكيانهم فى المجتمع]
كانت الإحتجاجات لاتقابل بالعنف.. ولكن التفتيـــش الدقيـــق
كان يتم بكل دقة.. وأحيانا يصل إلى الملابـــس الداخليـــة..

والسيدات قمن بتفتشهن السيدات..والرجال قاموا بتفتيش الرجال..
والمشكلة أن لأحد من الذين يتم تفتيشهم كان يعرف عماذا تبحث "الحملة" التى داهمت المؤسسة الصحفية. وما الذى يجعل ذلك العدد الكبير من الشرطة، والرتب المختلفة، يؤدون عملهم فى منتهى الجدية والإنضباط..

•• وستأخذ المفاجأة الوقت اللازم- وبعده تحدث الإفاقة.. فيستاء من تعرضوا لهذه الحملة لما حدث..
- ما الذى يحدث ؟!
- وماذا ستفعل إذا لم أسمح لك بتفتيش ؟!
- من فضلك. أطلعنى على أمر النيابة.
- لابد وأن أعرف- عماذا تبحثون حتى أسمح لكم بالتقليب فى ملابسى الداخلية..

•••أثبت لى هويتك- أنت أولا- لايكفى أن ترتدى ملابس الشرطة. أنها ملابس تباع فى سوق العتبة، حتى درجة اللواء..
احتجاجات متنوعة.. والرد دائما "بلاش لماضه" وزغدة والتانية، ينكتم المعترض، ومع ذلك لم يجد أحد إجابة شافية.
والجميع بعد اللماضة، وإبداء الإحتجاجات، كانوا يرضخون للتفتيش الدقيق..
مما يؤكد أن ما تبحث عنه الحملة- شئ فى حجم قبضة اليد.. يمكن أخفاؤه فى الملابس الداخلية.. أو فى الجيوب السرية.. لكن لايمكن بلعه، أو دفعه إلى داخل الجسم من أى منفذ.. آخر..
- هل هو مستند؟!
- ماذا عند الصحفيين -له أهمية- إلا المستندات التى يعتمدون عليها فى بناء التحقيقات التى ترج المجتمع..

كانت الرجات قبل الثورة تسقط الوزارات، أما بعد الثــورة، فإن الإرتباط الشديد بالكراسى، لايجعل أى شئ يسقط بسبب رجة، أو ضجة، أو حتى فضيحة بجلاجل..
[لقد صار المقعد والقاعد عليه من نســيج واحــد. وهــى مسألة يصعب الفصل بينها فى وقت صـــار الوزيــر لـيـس إقطاعيا أو ثريا، أو صاحب شركات.. كل ما يملكه هو ذلــك المقعد، الذى تحول إلى جزء من جســـمه، كمـا الســاق أو الصدر.. وأحيانا القلب]

.. والإجتهادات غير المجدية بين من تكون صناعتهم الكلام ـ وبين من تكون صناعتهم إستخراج الكلام من بيـــن الكلام.. لم تسفر عن.. توضيح شاف ووافٍ يريـــح الذيــن تساءلوا.. وألح عليهم السؤال..

.. وفى هذه الحالة، يمكن أن تروج إجتهـادات غريبــة لاتخضع للعوامل الموضوعية، كما لاتضع الحالــة الراهنــة فى الحسبان..

.. ومن هنا. تفاقمت التخمينات.. خاصة عندمـــا تــم احتجاز عدداً من الصحافيين الذيـــن تمـادوا فــى لجــاجهم وإعتراضاتهم- وحتى لايبدو الأمر، تنكيلا بأقلام معينة ـ فقد صحبوا معهم عددا من الموظفين والسعاة ، الذين أبدو طاعة وتعاونا.. هؤلاء الذين يقول لهم الضباط [هيا يـــا جماعــة "تفتيش"]. فيسارعون بخلع ملابسهم.. حتى يسارع الضباط ويوقفون خلعهم لسراويلهم، مراعيــن عــدم جــرح الآداب العامة!!

****

.. فى المديرية. تم عزل كل شخص فى مكان بعيد عن الآخرين. وقام الضباط باستجوابهم فرادى- وادعى الضباط أمام كل فرد منهم بأن لديهم إعترافا تفصيليا كاملا من زملائه يدينه وحده. ويؤكدون فيه أنه كان يحوم حول غرفة رئيس التحرير. والشهود شاهدوه يدخل الغرفة ساعة انصراف السيد رئيس التحرير، وأنه غافل مدير المكتب ودخل إلى مكتب سيادته. وأنه فور دخوله شاهد الخزينة التى تقع خلف مكتب سعادة رئيس التحرير مفتوحة.. "طبعا الشيطان شاطر. وزك بأن.. "هيا.. قل لنا بنفسك،ماذا حدث فالإعتراف يخفف عنك العقوبة ..و.."

.. ويسارع المتهم بالنفى.. بكل ما يملك من رد الفعل بجسمه ولسانه وانتفاضاته.. وبأسلوب ينم عن الوظيفة ألتى يشغلها.. إذا كان من ضمن المحررين.. قدم قائمة بمعارفة وأقاربه من الشخصيات العامة..
ومن كانت لهم تجارب سياسية قاسية.. لم يتهيجوا كمن ليس لهم تجارب.. فقد حمدوا الله بأن المسألة قد إنحصرت فى ضياع "شئ" من خزينة رئيس التحرير..
ماذا سيكون فى الخزينة إلا الأموال..؟! ومعلوم أن السياسين المتودكين آخر فلس..!
تاريخهم- وسنوات إعتقالهم السابقة- ستطوح بهم بعيدا عن سرقة أى شئ من خزينة رئيس التحرير.. حتى لو كان المفقود- مشغول بالألماظ الحر ..

****

.. كان من المفروض أن ينهار أحدهم ويبادر ويعترف ويدل على -المسروقات- خلال المدة التى حددت سلفا، لكن كل الذين تم تفتيشهم، أو الذين صحبوهم وفتشوهم وناقشوهم.. لم يظهر على أحدهم بأنه يعرف أى

شئ عما هو مفقود من خزينة رئيس التحرير.. الـذى هـو رئيس مجلس إدارة المؤسسة فى نفس الوقت- والذى أبلغ صديقه مساعد وزير الداخلية بفقد أربعة أقنعة.."
لها أهميتها الشديدة فى عمله.. وحياته.. !

.. وهكذا باءت محاولات الحملة بالفشل، أما وقد كان اللواء- وكيل وزارة الداخلية- قد حدد عمل الحملـة فـى ساعات قليلة.. أضطر أن يعطى أوامره بالإفراج عن الجميع -مع مراقبتهم بطريقة سرية- خاصة، وأنه بالاتصال الأخير بصديقه رئيس التحرير، تبين له بأن المفقود من خزينتـه.. ما هى إلا أقنعة..

.. وكان رئيس التحرير فى لهفته وتليفونه الذى أرسل به الإستغاثة، قد صور لصديقه اللواء، بأنها مؤامرة كـبرى حيكت فى ليل، وحثه بضرورة الإسراع بالحضور لتفتيـش جميع العاملين قبل خروجهم من المبنى، لإعادة الأقنعة..فلـم يتبع اللواء.. الإجراءات المعتادة!
ظن بأن المسألة لن تسغرق ساعة زمن.. وينتهى الأمـر. ويرتاح بال رئيس التحرير، ومع أن الأقنعة أختفت ولم يعثر لها على أثر، فقد عادت الأمور فى الدار الصحيفة الكـبرى إلى ما يشبه طبيعتها.. ولم يترك العمل (الاستثنائى) الأمنى. جرحا كبيراً مؤثراً فى النفوس. حتى الذين تلامضوا، وقاوحوا من الصحافيين، تمت معاملتهم بشدة، لكن لم يضرب أحد أو يعذب.. بصورة يمكن إثباتها ماديا...
****

[عودة إلى ما حدث قبيل حملة التفتيش]
.. السيد رئيس التحرير، وهو يؤدى أعماله العادية_ كان قـد فتح الخزينة ليرتدى القناع الشغيف.. وهو العائد من (الويك

إند) بالساحل الشمالى. .لكن جرس التليفــون رن بمكتبــه، فانشغل بالتليفون. ولأمر ما، سارع وخـــرج إلــى الصالــة لمقابلة وكيل أول وزارة الخارجية،الذى أتى إليـــه بأخبـــار طازجة.. وقد إستغرق معه،ليس أقل مــــن ربـــع الســـاعة وعندما عاد، إتجه مباشرة إلى دورة المياه الخاصة والملحقة بمكتبة ..

كان لثلاث حبات من الجوافة التى بدون بذور، أثرها فـــى الإمسالك الذى يعانى منه. مما جعله يستغرق فى الحمـــام.. نصف ساعة تقريباً.. وذلك كله حدث. والخزينة خلف مكتبه فاغرة فاها لمن يدفع بابه ويطل بداخل مكتبه. وهناك مدير مكتبه مع عدد من السكارتارية يشغلون القاعة التـــى أمـــام مكتبه. وهناك غرفة بها عشرين كاتباً خاصاً بـــه_ بعضهـــم مكلف بمواضيع مهمة،لا بد وأن ينجزها ويوافيه بها حالاً.. والفرصة ستكون متاحة بدون قصد لمن يدخل مكتبه بـــأ ن يتجه إلى الخزينة مباشرة. المسروقات التـــى لـــم يعتنـــى بذكرها، كانت تنحصر فى بضعة آلاف من الأوراق النقديـــة المصرية والأجنبية. لكن –فيما يبدو– أن السارق لا يعرف أهمية الأقنعة بالنسبة له. وربما علقت بمـــا اغترفـــه مـــن الخزينة.والأستاذ فى إستغاثته باللواء صديقه، كان يقصـــد. العثور على الأقنعة.. التى لن تختلف كثيراً عن فردة جورب حريمى فى لون الجلد الفاتح..

"ورئيس التحرير أعتقد بأنهم حال أن يجدوا السارق الـــذى سرق النقود.. سيجدون معه_ الأقنعة،فيستعيدها،فهى ســـر من أسرار حياته.وعمله. ليس مهما النقـــود.. فـــى ســـتين داهية، لذلك ، كانت حالة اللَبس، فاللواء الصديق، فى حدود معرفته بالأقنعة التى جاء ذكرها عرضاً.. ظن أنهـــا أقنعـــة أفريقية، أو أقنعة تمثيل إغريقية من التى تكون قيمتها فـــى كونها تذكارات قديمة..

.. كما أن الأقنعة لن تكون مهمة لصاحبهـــا إلا فـــى حدود أهمية الميداليـــة. وسلســـلة المفـــاتيح. والإنســـيال، والولاعة المهداة من شخصية معينة.. إلى آخر الخصوصيات التى لها ذكراها العطرة..

.. ورئيس التحرير _لم يذكر لأحد_ وبالتالى لصديقـــه اللواء قدرة الأقنعة _المسروقة_ على التلون. وكيـــف أنهـــا أكسبته عبقرية خاصة_ دون رؤساء التحرير جميعـــا التـــى تثق الدولة فى ولائهم للحكومة..

.. ولما كان رئيس التحرير منهاراً.. لضياع الأقنعـــة.. وليس المال_ الذى يذهب ويجئ مضاعفـــا.. فـــإن صديقـــه اللواء. وقد فعل ما فعل على مسئوليته_ لم يكن يشم علـــى ظهر يده. ليتبين الأهمية البالغة للأقنعة بالنســـبة لصديقـــه رئيس التحرير. وضايق اللواء والأقنعة قد إختفت لا يريـــد صديقه أن يصارحه_ من أين تأتى أهميتها البالغة؟!

****

.. ضياع الأقنعة جعل كل شئ فى حياة رئيس التحرير -الذى يملأ الدنيا ضجة- "على كف عفريت" .. ومـــا أدراك ما كف العفريت؟

.. تلك الأقنعة هى التى شكلت عبقريته. حصدت لـــه الشهرة. وجعلت منه أشهر رئيس تحرير فى مصـــر.. بـــل وأفسحت له مكانة مميزة فى حـــزب الحكومـــة. وحكومـــة الحزب.وجعلت له مقعدة الدائم فى طائرة الســـيد الرئيـــس. عندما يسافر فى رحلاته إلى الخارج أو الداخل.

****

١) القناع العادى القديم_ وهو بدون فيونكة

.. كان رئيس التحرير المرموق -قد بدأ بـــه حياتـــه الصحفية أيام الإحتلال الإنجلـــيزى لمصـــر- عندمـــا كـــان المندوب السامى هو الملك الفعلى للبـــلاد. وكـــانت القبلـــة -لندن- ١٠ داونج استريت. وكانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت بتحولات خطيرة فى مسار الحرب. والذين حاولوا نقض إلتزامات وتقنينات الإحتلال لمصـــر الـــذى تضمنتـــه معاهدة ٣٦ الوفدية. التى جعلت مصـــر ضمـــن المجهـــود الحربى البريطانى _فى حرب ليس لمصـــر ناقـــة فيهـــا أو جمل.. أخفقوا. عندما تعثرت قوات الحاج محمد هتلر بقيادة الحاج محمد رومل ..!

عقب الحرب. كان (الأستاذ) شـــاباً صغـــير الســـن،حلـــو التقاطيع،يتقن التحدث باللغة الإنجليزيـــة، فالقنـــاع القديـــم العادى بدون فيونكة, جعله يبدو وكأنه إنجليزى قـــح، مـــن خريجى جامعة اكسفورد. مع إنه فى ذلك الوقت كان يقيم فى بيت العائلة فى خارطة تقع خلف المقام الزينبى.. وعدد من أهله يعيشون على صدقات الفول النابت فى شطائر الخـــبز البلدى،التى توزع مجاناً،أمام الباب العمومى لمقام الســـيدة زينب. وقد أمكنه فى شبابه المبكر،أن يحصل على ريدنجوت قديم. يظهر به فى حفـــلات الباشـــوات،والبكـــوات،الذيـــن يستضيفون السادة الإنجليز فى قصورهم العامرة

.. صار الأستاذ -منذ صغره- لا يشرب الشاى فـــى مقهى المعلم بسيونى،إلا مع دقات الساعة الخامســـة بعـــد الظهر..

إذ كان -القناع- يجعله يحـــافظ علـــى إرتـــداء الملابـــس الصوفيـــة الإنجليزيـــة الثقيلـــة فـــى عـــز حـــر القـــاهرة الأغسطساوى. مع دوام الرطن باللغة الإنجليزية. والبـــايب فى جانب فمه_ حتى وهو يتعامل مع ناس الحارة التى بهـــا دكان (الطرشجى الحلوجى) على الناصية- وقهـــوة المعلـــم بسيونى بجوار بقالة الأمانة..

.. وقد إستمر الأستاذ فى مظهره الأوربـــاوى. حتـــى جاءت له الفرصة. فأبدى الطاعة الواجبة،فلفت نظر الذيـــن يفهمون فى الركائب والمراكيـــب.. مـــن كشـــافين قصـــر الدوبارة..وإذا ما إلتقطته العين الفاحصة، سريعاً ما أثبـــت جدارته.ولم يخيب أمل الذى دفعة الدفعة الأولى. وإن كـــان كالعادة،قد عض تلك اليد التى قامت بتلك الدفعة.. وأعـــزى كل الفضل للقناع القديم العادى بدون فيونكة..

".. وفى ذلك الوقت تم ضمه إلى النخبة التى تـــرى أن الإحتلال الإنجليزى لمصر،ما هو إلا شرف لمصر_ وتطـــوراً حضارياً.لا قبله ولا بعده.. "

.. ومع أن الأقنعة فى تلك الأيام لم تكن قد تطورت ورقت وشفت،وصارت على الموضة، وكل شئ كـــان فـــى بدايته كبيراً. فالراديو كان وقتها قطعة موبيليـــا فـــى جـــم دولاب الصينى.. وذلك يتفق والأقنعة فى تلك الأيـــام التـــى كانت سافرة.والذى يؤيد الإنجليز.. تراه إنجليزياً لا تخطئـــه العين، كما أن الوطنيين وقتها كان لهم شـــكلهم المميـــز . تستطيع أن تشير إليهم وتحددهم من لهجتهم وطريقتهم. كل شئ فى تلك الأيام كان محدداً.. وواضحاً.. لذا يعتز النـــاس بأيام زمان الصريحة.. لكل واحد شكله وهيئته فلا لَبـــس أو خداع..

•• وإذا كان القناع العادى _بدون فيونكة_ قد وضع قدم (الأستاذ) على أول سلالم مجده.. بعدها إنكفأ على وجهـــه.. وصار يزحف بالمشوار على سلالم المجد. وهو ما لم يحققه دفعة واحدة. قناعة القديم. وإمكانياته المحـــدودة. التـــى لا تجعله ينتقل من السيدة زينب إلى _المعادى الجديدة_ ومـــن المعادى الجديدة إلى الدقى.. لقد صار قريباً بصورة خطيرة من الزمالك.. حيث علية القوم..والناس الألاجـــة المنتقيـــن بعناية..

•• وإذا كان قد حدث التطور فى الراديو القديم –بعـــد الحرب العالمية الثانية– ذلك الراديـــو الـــذى كـــان يعمـــل باللمبات العديدة، التى يجب أن تنتظر نصف ساعة حتى يتم تسخينها وتنطق. فإن الراديو الجديد صـــار أقـــل حجمـــاً، وأسرع فى النطق. ويمكن أن يأتى إليك بالعديد من محطات الاذاعة فى العالم_[صاحب ذلك تطور خطير فـــى الأقنعـــة.] وأمكن للأستاذ أن يقتنى القناع أبو فيونكة حمراء.. فقد كان بعيد النظر_ إذا إقتنى بكل ما يملك ذلـــك القنـــاع المتطـــور الخطير..

****

٣) القناع أبو فيونكة حمراء

•• حصل الأستاذ عقب قيام ثورة يوليو_ التى لم تكـــن ثورة أثناء قيامها كما هو معروف_ فقد بدأت كحركة مباركة (على ناس وناس لا) أخذت تتحول تدريجياً إلى ثورة بطريقة الفعل ورد الفعل «تارة» وبطريقة التجربة والخطأ.. تـــارة أخرى..

ففى تلك الأيام حدث أن تحول الأستاذ إلى بوق يردد كلمات اللواء محمد نجيب، ويحيلها إلى حكم ومواعظ وشعارات مسجوعة، على وزن أزجال أبو بثينة وبيرم..

.. وعندما تبين له أن اللواء محمد نجيب ما هو إلا واجهة لضباط متوسطى الرتبة _ انعطف إلى جمال عبد الناصر _ وفى غمضة عين صار "ناصر يا" حتى النخاع، والقناع أبو فيونكة حمراء، كانت له خاصية غريبة فى إضافة الحواشى والهوامش، ويعمل من الحبة قبة. مع الإيماءات التى تجعل القراء لا يفصلون بين الكاتب والمكتوب عنه..

فى ذلك الوقت وضع نصب عينيه كتيب عبد الناصر _فلسفة الثورة_ وهو كتيب صغير قليل الصفحات..أنكب على كل كلمة فيه..ودبج حولها المقالات الطوال..

سريعاً ما تحولت المقالات إلى دراسات..ثم تحولت الدراسات إلى كتب ضخمة.. ومراجع تقتنيها الجامعات، والمؤسسات الثقافية.. ويمنح صاحبها أكثر من دكتوراه فخرية عنها، ويستضاف من الدول التى تمسح جوخ لعبد الناصر..

خاصة بعد أن أفلت من مصيدة ١٩٥٦ - ومعه قنال السويس العالمية، وصار أمل كل المتاعيس وخياب الرجاء والمستضعفين فى الأرض...

.. حتى صار البعض يجزم بأن -الأستاذ- ما هو إلا واحد من الضباط الأحرار -الصف الثانى على الأقل-. وإجتماعات الثورة الحاسمة لابد وأنها عقدت فى بيت عائلته بالسيدة زينب، فالحركة المباركة الشعبية التى لا تستطيع أن تغفل فئات تعيش على الفول النابت، والفول المدمس، والفوليات عموماً.. وقيل أنه "هو" الذى طالب بأن يكون شعار الثورة (حمامة) فالحمام من أكله الفول.. لكن مما يؤسف له

لم يحضر الإجتماع الوحيد الذى تم فيه إختيار "تسر" صلاح الدين شعاراً للثورة ..

.. عوض ذلك بأن حضر الإجتماع الذى أقر فكرته.. حول إعلان الجمهورية..وقد أوحى لدى القراء بأنــه لعـب دوراً مهماً فى أزمة مارس عام ١٩٥٤م_ على أساس أنــه هو الذى أعاد عبد الناصر إلى خضم الحياة السياسية. بعـد أن غضب_ مقموصاً-وأعلن عودته إلى الثكنــات العســكرية ضابطاً عادياً.. لما اللواء نجيب صَدقْ الباشوات بأنه صاحب الحركة المباركة..

.. وقيل أن (الأستاذ) هو الذى اقترح خـروج محمـد نجيب إلى المعاش الإستثنائى وتحديد إقامته فى (المَرج)..

..ولما صدر الميثاق_ كان القناع أبو فيونكة حمـراء لا يزال معطاءاً، مساهماً بشكل خطير فى الحيـاة العامـة، فالميثاق مرصوص بالكلمات المنتقاة،والتى تصلـح حكمـاً مأثورة،لأى زمان ومكان، تم الدفع بها لتكون كتبـاً لعـدة أجيال..
وعلى عباراته يمكن أن تتمحـور التحـولات الاقتصاديـة والسياسـية.كمـا يمكـن أن تتفجـر القضايـا الوطنيـة والإجتماعية..

.. ومن كان يقرأ مقالات الأستاذ _فى تلـك الفـترة_ كان لا يستطيع التفريق بين إسلوبها وإسلوب الميثاق..
إذ أن المقالات والتحليلات المطولة التى دأب الأستاذ علـى كتابتها منذ فسر كلمات-فلسفة الثورة وعمقها- كانت مـن رحيق واحد، دفعت به لأن يكون من المنظرين للاشـتراكية العربية_ التى هى لا شرقية ولا غربية-والتى هى تقع وسطاً

بين الرأسمالية الأمريكية والإشتراكية السوفيتية. ولا أحـد يدرى إمكانيات القناع أبو فيونكة حمراء. الذى صار ديدنـه إبراز تحالف قوى الشعب العامل.. كل يوم يكتب عن قوة من قواه.. يوم للعمال. ويوم للفلاحين. ويوم للمثقفيـن. ويـوم للجنود.. واليوم الخامس للرأسمالية الوطنية. ثم يعود مـن جديد.. يوم للعمال ويوم.. دواليك.

-- من هنا صار الأستاذ محل ثقة الإتحاد الإشـتراكى. والحزب الطليعى. ومنظومة دول الحياد الإيجابى. وواحد من قادة اتساع المجال الحيوى للقومية العربيـة، ومـن دعـاة الوحدة.. من المحيط الهادر.. إلى الخليج الثائر..

-- فاعلية هذا القناع أبو فيونكة حمراء. ظهرت فـى محاضراته التى كان يلقيها علـى الشـباب فـى مخيمـات ومعسكرات منظمة الشباب، عندما كان يفسر للشباب_ معنى حتمية الحل الإشتراكى_ الأمر الذى جعله يتخصص فى تلـك الأيام بأن يجند قلمة للكتابة عن ثورة أكتوبـر الروسـية. وثورة الصين الماوتسى تونجيه. وثورة كوبا الكاسـتروية. وثورة جيفار البؤرية.. وحتى الثورة على السفينة بونتى لم يغفل تحليل دوافعها. وطعن فى النهاية التى راعـت خـاطر مجلس اللوردات البريطانى، فأماتت البطل الثائر على الظلم..

-- والأستاذ. هو الذى كان يحدد القوى الثوريـة فـى العالم العربى_ من تكون القوى الرجعية العميلـة المتحالفـة مع الإمبريالية والإستعمار. ومن القوى التقدمية التى تناهض الأمبريالية والإستعمار..

-- كانت قمة كتاباته أثناء حرب اليمن- وهو الـذى تحاور مع الفليسوف الوجودى سارتر والسيدة -صديقتـه-

سيمون دى بوافوار – فى زيارتهما للقاهرة..ولقاءاتهما مع المثقفين..

.. وكان الاستاذ شديد الترحيب، بذلك الفليسوف الوجودى –ونقده الشديد جداً. أنصب على "كيف يزور الفليسوف إسرائيل ومصر فى وقت واحد؟!"

.. والأستاذ وهو فى قمة ثوريته.. لم يكن يغفل بأن الأقنعة يحدث بها كثير من التطوير حوله..
وكان يفكر – بل يسعى لإقتناء القناع أبو فيونكه زرقاء. تحوطا.. لذلك الإندفاع الشديد – الذى قد تعقبه عثرة..أو ذلك التوهج الشديد الذى قد يعقبه إنطفاء..

.. وفى الخفاء حصل الأستاذ على القناع أبو فيونكه زرقاء– فقد تداعت الأحداث سريعا حتى وصلت إلى حرب ١٩٦٧م ..

.. وقع الجيش المصرى –الذى فقد غطاءه الجوى فى ساعة زمن– وقع فى الفخ المنصوب له– وتنحى عبد الناصر.. وهاج الناس يطالبونه بالبقاء وقيادة المسيرة..

.. لكن الأستاذ كان قد خلع القناع أبو فيونكه حمراء وإرتدى القناع أبو فيونكه زرقاء.. فلم تنطلى عليه حركة الجماهير. التى اتهمها فى أول مقال ينشره فى الخارج "بالعفوية الشديدة.." وقال أن تلك العفوية،تساهم فى تخليق الدكتاتوريين النازيين والفاشيين والناصريين!

٣- القناع أبو فيونكه زرقاء

كانت الهزيمة سريعة ومفاجئة. بالكاد استشـف مقدماتهـا القناع أبو فيونكه حمراء.. أما القناع أبو فيونكه زرقاء فقد كان يوسم صاحبه بالهدوء والرزانـه- وأن يكـون آخـر المتكلمين بعد أن يتحسس الآراء فى كل ما يقال قبله. بذلك القناع العاقل الرزين. أكتشف بأن ثورة مصـر الحمـراء- كانت السبب فى تقسيم العالم العربى إلى قسمين- أضعـف كل منهما الآخر- وأن عبد الناصر، كان يحلم بأمبراطوريـة تتكون من الدول العربية التى هى الآن مستقلة، وأعضاء فى الأمم المتحدة، ومحمية بمجلس الأمن.. وقراراته التى يجب أن يلتزم بها الجميع- إلا "أمريكا وإسرائيل!"

..وأظهر الأستاذ ما يظهره القناع أبو فيونكه زرقاء- والذى جعله محبوبا فى عالم الغرب والشـمال. ومرهـوب الجانب فى عالم الشرق والجنوب، وصارت كلمات الأسـتاذ توزن بالدولارات- "فمن جاور السعيد يسعد.. ومن جـاور الحداد يكتوى بناره". وتلك من مقولاته المـأثورة، ويقصـد بها الإتحاد السوفيتى الحداد -والسعيد أمريكا- والمُسعد هو شخصه..

.. لقد أظهر الأستاذ أن "الامبراطور" كان يرنـو إلـى بترول الدول العربية- وثروات الدول العربية الطبيعية التى حباها الله بها- وأفاء عليهم الله بها- إذ يقول دائما بترول العرب- وليس بترول الدولة الفلانيه من العرب- وأثبت أنه فى الخطوة التالية، سيقول أن بترول العرب للعرب. فتنفتح طاقة الأطماع، ومن المعلوم أن الدول كثيرة العـدد، ليـس لديها هذه المصادر الطبيعية- وكأن الله الرزاق لـم يكتـب

لهم ذلك النعيم بعد- أما الدول قليلة العدد، فهى التى تستحوذ على ذلك المخزون الضخم.. ولامانع- هكذا يتحدث الأستاذ- أن تبحث الدول الصغيرة عن أمانها وسكينتها فى أعطاف الدول الغنية الكبرى. وليس الدول الفقيرة الكبرى. وهو الذى راح يحلل الظروف الجديدة والمحتملة التى تعقب النكسات عادة. فوجد أن القوى الثورية فى العالم العربى، هى قوى غير عاقلة بالمرة- ترحم على أبو رقيبة- الذى ألمح بالأعتراف بإسرائيل، والإقتراب من الواقع.. وذكر كميل شمعون، ونورى السعيد- والمرحوم حلف بغداد المركزى.. ولم يتورع فى إتهام القوى الثورية فى العالم العربى بأن التى تحركها هى "عاطفة جياشة". فى زمن لايعترف بالعواطف. فما بالك إذا كانت جياشة!!

وعن القوى التى كانوا ينعتوها بالرجعية، أثبت الأستاذ بالشواهد، كيف أن قلبها طيباً ويدها فرطة. وترسل بالمعونات التى إذا قدمت باليمين فلا تدرى اليد اليسرى كم قدمت باليمين. وأعتبرها القوى العاقلة التى يجب التسليم لها بأن تكون هى القيادة المنوط بها، حل المشاكل الحياتيه للعرب..

وأشاد الأستاذ ببعد نظر هذه القوى إذ أثبتت -قبل خراب مالطة- بأن القوى العظمى- وأمريكا بالذات-لايمكن مناطحتها. والأفضل لنا أن نكون عملاء لها، أو دلاديل.. فهى دول عظمى إلى ما شاء الله.. فلماذا العناد والهزائم؟!

ومع أن عبد الناصر كان قد أطلق لاآته الثلاث فى السودان- فقد قام الأستاذ- بقناعه الأزرق الحكيم- بالإيحاء بأنها حلاوة الروح.. لزعيم مات فى الساعة التاسعة والربع صباح الخامس من يونيه ١٩٦٧.

****

•• وحتى عـــام ١٩٧٠ كـــان الأســـتاذ يكتـــب عـــن موسولينى وكيف شنقوه فى شجرة بالشارع. وهتلر.. وكيف أنتحر، أو ظل مختفياً حتى مات.. وربط بين الطغـــاة الذيـــن هزموا فى الحروب. وكيف كان لهم حزبهم الواحد. وكيـــف كانوا يحلمون بالأمبراطوريات الضخمة.

وذلك –القناع أبو فيونكه زرقـــاء– قـــدم للأســـتاذ تسهيلات عظمى فى الحصول على ثروة ضخمة.. مكنته من الحصول على القناع الرابع الشفيف.. وهـــو قنـــاع متعـــدد الأنظمة. يتلائم ووصول الإنسان إلى القمر، ونزولـــه علـــى أرضه عام ١٩٦٩ مما يثبت التطور الخطير فـــى العلـــوم.. والوسائل العلمية، والتقدم الهـــائل فـــى وســـائل الإتصـــال والتأثير والتكنولوجيا..!

٤- القناع الرابع الشفيف متعدد الأنظمة

•• القناع الشفيف هو قمة الأقنعة، متطـــور الأبعـــاد، ينقلب من تلقاء نفسه إلى وجوه مختلفة. لا يجعلك تفكر، بل يقوم هو بالنيابة عنك بتقديم الأفكار جاهزة، كما يعمل على رصد المشاعر الداخلية، والدخيلة. فلا يتأثر بضمـــير مـــن يرتديه مطلقاً.. وهو قناع وإن كان غالى الثمن لايقتنيـــه إلا الأثرياء جداً، فثمنه فيه– إذ يغنيك عن شـــراء أقنعـــة كـــل مرحله من المراحل– تلك الأقنعة ذات القدرات المحـــدودة. فالقناع الجديد الشفيف ترك أثراً عظيماً وأنطباعاً كبيراً برغم أن الرئيس الجديد ابن حنت ومقطع السمكة وذيلهـــا، وقـــد لطمته الأيام، إذ أنه من خلال لقاء عابر جعله فى مواجهـــة إشعاعات قناعه. جاء بالأثر المطلوب. فى نفـــس المســـاء

استدعاه إلى استراحته، وإختلى به، وفتح له قلبه، وكأنـــه صديق قديم. مع أن السادات رجل داخ السبع دوخات، حتى وصل إلى رئاسة الجمهورية. بكل المقاييس، رجل لايستهان به. أنه الرجل الذى جعل كل القـــوى المتصارعـــة حولـــه يعتقدون بأنه- "الأسهل" وأنه الرجل المقدور على قيادتـــه، وتوجيهه كما يشاؤون.. وأمكنه أن ينقلب عليهـــم جميعـــاً. فصار هو القائد والزعيم الذى بصوته فقط، أطلـــق شـــرارة ثورة يوليو.. كما أطلق بصوته فقط، شرارة عدة ثورات أخرى.. بدأت بثورة التصحيح،وأنتهت بالثورة الزراعية والإدارية.. الخ ..

.. والسادات بكل ذكائه وأساليب خداعه- تمكن القناع الشفيف للأستاذ، بأن يتغلب على شكوكه، ويجعله يصدقه.بل ويطمئن له، ويفكر معه بصوت مسموع- خاصـــة بعـــد أن كتب الأستاذ [مصر كانت تنتظر قدومك يا سيادة الرئيس منذ أجتمع مشايخها لتولية محمد على باشا..]

.. كما أعلن الأستاذ فى حديث إذاعى- بـــأن أغنيتـــه المفضله هى -يا كايدهم- لمحرم فؤاد، وأن أفضل الأفـــلام التى يعجب بها ويشاهدها بصفة دائمة- هى أفلام الويسترن "الغرب الأمريكى" ووصلت رسالته إلـــى الســـيد الرئيـــس.. فالقناع متعدد الأنظمة، كان قادرا على أن يعمل على عـــدة جبهات فى وقت واحد...

.. حتى أنه صار يتقلب به بيـــن التيـــار الاســـلامى والمنابر الجديدة الديموقراطية،والتى فـــى معظمهـــا تدعـــو للرأسمالية الحرة!

.. ولم يخطئ القناع ولو لمرة واحدة. ويستعيد كلمة من الكلام القديم -أبو دم ثقيل- لقد وضع على لسان الأستاذ الشعارات البينات، وكثير من الأحاديث التى تناسب المرحلة الجديدة،فجعل الجميع ينظرون اليه على أنه "الملهم" والأقرب إلى برامجهم،وأهدافهم العلنية والخفية- فوقع عليه الإختيار أن يكون الممثل الشخصى للسيد الرئيس فى العالم العربى، وأن يركز على الشيوخ والملوك الذين لافصل بين خزائنهم الشخصية وخزائن مشيخاتهم أو إماراتهم...

.. وقد حقق القناع الشفيف كثيرا من المنجزات "..ومن جاور السعيد يسعد.. ومن جاور الحداد ينكوى بناره- كلاكيت ثانى مرة" مع تغير فى الشخوص المقصودة"

****

.. وكان للقناع الشفيف أثره الخطير على من يحيطون بالأستاذ أو يلتقون به بصفة مستمرة.. إذ يحدث أن يتحول الأصدقاء والمعارف من حوله إلى مريدين وتلاميذ له -حتى لو كانوا -فى الواقع- أكبر منه عمراً، وأغزر ثقافة.. وخاصة إذا كان هناك عدد من المحطين به لديهم أستعداد معين للفت الأنظار.. يحدث أن تتحد الإشعاعات القصيرة الصادرة من القناع، مع إنزيمات خاصة، تسبب حالة من الإفاقة والإحساس بالنكوص والعودة من مشوار بعيد- فيها يلهث الشخص قليلا، ثم يهدأ، ويبدأ فى الإعلان عن "عودة الوعى لديه "

وقد كان يجالس كبار الكتاب.. وقد يتعرض الكبار فى السن إلى حالات النكوص بسبب تأثير الإشعاعات قصيرة المدى المركزة. فتحدث تلك الإفاقات- فيما يسمى بإعادة الوعى- أو الصحيان من غفلة كان المرء سادرا فيها دون أن

يدرى- خاصة فى الأماكن التى تتسم أجوائها بالحرارة والإعتدال..

.. وهو ما حدث للكاتب الكبير الرزين. فيلسوف التعادلية، وصاحب الرواية التى أثرت على شباب جمال عبد الناصر وكادت تحوله إلى- خوجة- بعد أن دفعت به إلى كلية الآداب.. أنه الكاتب العجوز توفيق الحكيم الذى كان يكثر من اللقاء بالأستاذ دون أن يدرى بأنه مرتديا قناعه الشفيف متعدد الأنظمة. عندما يكون كريما فى نفقاته، يلزق له الكاتب.. فقد تأثر الأديب الكبير.. ولا ذنب له فيما حدث- عقب وفاة جمال عبد الناصر -إذ أن الرجل دون أن يدرى- وهو واقع تحت تأثير إشاعات قصيرة المدى من القناع الذى يواجهه يومياً.. فجأة وجد نفسه قد اصدر كتابا يقر فيه بعودة الوعى لدماغه، ويعترف فيه بأنه كان مغشيا عليه ومنوما، ومتوها خلال حكم عبد الناصر- وأنه والحمد لله خلاص قام من النوم، وأفاق وفنجل عينيه- وأنه يرى الآن- أن الثمانية عشر عاما التى مرت من ثورة يوليو.. ما هى إلا كذب وضلال..!!

.. ولأن معظم قراء توفيق الحكيم، طيبون مثله ويؤمنون بالتعادليه، بما يعنى "حبه فوق وحبه تحت". فقد غفروا للكاتب الكبير، وأعتبروا ما قاله- ما هى إلا حالة للفت النظر. خاصة وأن كاتبهم المفضل كان يهوى التمثيل، "رحمة الله عليه" وفى ظنه بأنه يستطيع أن يلعب بعض الأدوار "على كبر" ..

.. وقد أدهشتهم تلك التحولات التى حدثت للرجل الحريص. ولم يكن يعلمون شيئا عن القناع الشفيف، وموجته القصيرة المركزة، فقد ظنوا بان الرجل إسترد وعيه

المفقود ليستدير ويقف على محطة العم ســـام. ظنـاً أنهـا الطريق إلى جائزة العم نوبل العالميـة -والمليـون دولار-
وهى جائزة غير بريئة أحياناً.. فهى تعطى لباسترناك نكاية فى الإتحاد السوفيتى.. وأعطيت لســـارتر.. رغـم حاجتـه الشديدة للمليون دولار فقد رفضها..
ومع ذلك- فإن يوسف إدريس غضـــب.. عندمـا أخطأتـه الجائزة وذهبت لنجيب محفوظ...
الذى كان منذ البداية. يمشى على طريق الليبراليه.. يشوح بيديه فى الفضاء الرحيب على أن لا تلمس يده أنف أحد..!

****

.. وقد استمرت فاعلية القناع الرابع الشفيف متعـــدد الأنظمة فى حياة الأستاذ- وفى توجيه خطوات الأستاذ.. إلى السداد والرشاد.. فعلى أثر الزيارة المفاجئة. التى قام بهـا السادات لإسرائيل، ليواجه العدو التقليدى للعرب. يذهب إلى هناك ويسأل.. "لماذا العداء يا جماعة؟!.." وكأنه لايعرف أن العداء كان بسبب وحيد- هو استلاب وطن وطرد مواطنيـه منه وتحويلهم إلى لاجئين.. والدعوة لعودة مهجريـن مـن ألفين سنة،وعدم عودة مهجرون من خمسين سنة!

.. ومع أن عمليات السخط نزلت على رأس الرئيـس المؤمن ومن سافر معه إلى إسرائيل- وقد ضاع فـى هـذه العملية يوسف السباعى- لكن القناع الشفيف نأى بالأستاذ بعيداً عن حالات السخط والإنتقام، فكان يصور للجميـع أن السلام القادم سيأتى متأبطاً الرخاء والثراء. سـيارة وفيـلا وعروسة جميلة لكل مواطن مصرى بلغ سن الرشد.. وعلى المتزوجين ولاستطيعون الفكاك، التصرف فـى العروسـة، واستخدام المرفقات الأخرى..!

•• ومرحى للأجيال القادمة. التى ستأتى وتجد في المنطقة وحدة اقتصادية- رابع وحدة اقتصادية فى العالم.. أنها "الشرقأ وسطية".. بعيدا عن بترول العرب، ووحدة لايغلبها غلاب، والتى لاترضى عنها الراسمالية العالمية.. إذ أنها وحدة تريد أن تبدأ خطواتها بالتصنيع، وفى ذلك خراب مستعجل لمصانع وعمال أوربا، ومن يجاورها- وغلق سوق به ثلاثمائة مليون مستهلك حقيقى، يستهلكون بضائع أوربا وأمريكا.. أضعاف أضعاف الصين والهند وأسيا.

•• وأشاع القناع الشفيف أصطلاح "الشرقأوسطية" التى تعنى العرب مع المسلمين مع إسرائيل.. وحدة.. بقيادة العقلية الصهيونية الحكيمة، تحت عنوان- الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار- وهنا ستصير العبارة مقبولة.. والعالم يواجه الحقائق، ولايخفى رأسه فى الرمال كالنعامة.

•• وهذه المعركة التى قادها الأستاذ بقناعه الشفيف- أدت إلى إنزلاق أقدام عدد من الكتاب المحترمين فى الخيّة.. فسافر "على سالم" إلى إسرائيل دون أن يدرى.. ما الدافع وراء سفره. والمسكين وقع تحت تأثير إشعاعات القناع القصيرة.. وعلى أثر ذلك ظهرت جماعة كوبنهاجن. تخوض فى المحظور.. وتلبس البوصة تبقى عروسة.. والجميع هجروا الإصطلاحات القديمة التى صارت عارا وشنارا.. مثل "القومية العربية- الحياد الإيجابى- دول عدم الإنحياز.. وإستبدل كل ذلك باصطلاح وحيد "دول العالم الثالث" أو الدول النامية. والمعنى بذلك، الدول التى تتسول ومستعدة أن تعمل عجين الفلاحة مقابل حفنة من الدولارات التى يضيع معظمها فى الطريق..

•• وقد تأثر باشعاعات القناع الشفيف- الكاتب التقدمى لطفى الخولى- وهو المثقف الماركسى.. رئيس تحرير "الطليعة" التى أغلقها وزير ثقافة السادات. وكان كبير حزب العقلاء الذى انبرى يدعو إلى "المحاضنة"- أى أن يحضن المسروق السارق.. وربنا يعمل ما فيه الخير للجميع- ولامانع أن يقوم اليهود بتنمية المنطقة بفلوس العرب.. ما دامت أمريكا واللوبى الصهيونى سيكونا من جملة المؤيدين..

-- كما أمكن للإشعاعات القصيرة للقناع الشفيف للأستاذ، أن تأتى بتأثيرها خارج الحدود- فقد صار هناك جماعات تؤيد كل ما تأتى أولا تأتى به أوسلو.. وتم جمع الفلسطينين وحبسهم فى غزة والضفة ليتسلى المستوطنين اليهود بقتلهم خنقاً وحصاراً.. وأحيانا بالطائرات والمدافع.. وليس أمام العرب الفلسطينيين إلا الحجارة.. والنبال.. والمقاليع، التى صنعوها محليا. فأعترض عليها مجلس الأمن،على أساس أنها أسلحة قتال تؤثر بالسلب على الأسلحة الأمريكية..

-- وهذا القناع الذى يكيف نفسه بنفسه ويعدل أوضاعه أتوماتيكيا. يحول أنواع الصفاقات إلى معارف وعلوم وحكم مأثورة.. أنه من خامة جيدة. تجعل المجرمين من السفاحين من متعصبى حزب الليكود فى إسرائيل أعداء السلام.. يبدون أمام الآخرين.. طيبون والبراءة فى عيونهم..

-- بالإضافة إلى خاصية مخصوصة تلازم هذا القناع. وهى قدرته على التلون وتبرير التلون- يجعل صاحبه يحلم أحلاما ملونة. تقدم له النساء مع النساء. عاريات،وفى حالة

تواصل دائم مع موجه خاصة. بعكس الأقنعة القديمة التـــى كانت أبيض وأسود.. وحتى الأسود كان رماديا.. باهتاً..
[ملحوظة: كان يمكن أن نستفيض فى فوائد القناع الشـــفيف أبو فيونكه زرقاء.. ولكننا نراعى ضيق مساحة النشر..]

* * * * * * * * * * * * *

****

.. بعد حادث ضياع الأقنعة وحملة التفتيــش.. لــزم الأستاذ داره، وبانهيار الأستاذ وغيابه عن الدار الصحيفـــة الكبرى. قد تمضى الأمور طبقا للتكليفات اليومية، والدفـــع الذاتى، ليوم أو يومين. .لكن فى ظل احتفاظ الكبار بـــالرأى النهائى، على أساس أنهم رقباء على أنفسهم. لابد وأن يتم التراكم وتتعطل الأعمال، إنتظاراً لتأشيرته الكريمة، على كــل شى. كما هى عادة من يخشون على مراكزهم ومقـــاعدهم. ويتصورون أن الدنيا لاتسير إلا بهم..

- إنهالت المكالمات والفاكسات والبرقيـــات علـــى معظم خطوط بيت الأستاذ المنيف..

.. فالدار الكبرى تصدر صحيفة كبرى، وعدة مجـــلات كبرى، وعدة كتب كبرى. وتطبع عددا من الصحـــف للغـــير. وتقدم فى مجال الطباعة أصنافا من المطبوعات التجاريـــة، من النتائج، والمفكرات، والديسكات، والاجنـــدات. وبذلـــك تحقق المؤسسة مزيدا من الربح، كما تتـــاجر فـــى أحبـــار الطباعة ورزم الورق، وكراريس الأولاد، ولعـــب الأطفـــال، وأجهزة المكاتب والمكتبات..

.. والأستاذ بصفته -ليس رئيســـا للتحريـــر لكـــل المطبوعات فقط- بل بصفته رئيسا لمجلس الإدارة. سيكون

منقسما إلى تاجر يدير مشروعا مربحا. وكـــاتبا لابـــد وأن يوافى الأقسام التى تنتظر مقالاتـــه وعواميـــده وتعليقاتـــه وإبداعاته الأدبية والفنية، وعليه أن لاينقطع طويـــلا عـــن ورشته الخاصة. ومجموع كتابه الـــذى يزودهـــم بـــرؤوس المواضيع، ويقدمون له عدة مواضيع يختار ما يريد ليطلـــع على الموضوع اسمه الكريم. فيكتســـب الموضـــوع قيمـــة الذهب.. ويأتى بالريالات والدينارات والفرنكات والدولارات من أنحاء العالم العربى.. وكذلك من مراكز البحث والترجمة فى أنحاء العالم الغربى. والدفع بالعملة الصعبة..

•• والأقنعة كانت تسهل له الأمـــور.. تشـــحن ذهنـــه بالمواضيع الملائمة التى تبدو مثيرة وثائرة ولكنها لاتجرح ولاتخدش ولاتغضب أحداً..

•• كما أن الأقنعة كانت تجعله يقتنع بأنـــه لايســـرق مجهود أحد..

•• أنه فى منزله الآن يشعر كمـــن ضـــرب علـــى أم رأسه فداخ وانهار ولايزال دائخا ومنهارا.. ذهنه أبيـــض.. ولاشئ فى أذنه سوى الوشيش،والصمت الحزين..

[.. ماذا ستفعل الآن يا أستاذ وقد صار ذهنك صافيا. وفارغا. شلت يدك عن تسطير.. سطر واحد. مجرد فكـــرة للورثة.؟!]

•• كان لابد لكى يحرك ركود ذهنه أن يلقـــى نظـــرة على مطبوعات الأسابيع الماضية..
هاله ما قرأ..

شعر بالخجل الشديد.. يفكر كيف كان حال الجمهور الـــذى يتلقى هذه السخافات.. لابد وأن الأقنعة كان لهـــا مفعولهـــا الممتد لتمرير الصفاقة والتلاحه على القراء..

.. ولعلها كانت تجعله لايهتم بما قد يفكر فيه القراء..

.. ثار على نفسه "كيف كان ينحط إلى هذا الـــدرك؟" القى بالصحف والمجلات والكتب.. بعيداً..

.. قام ووقف أمام المرأة. رأى نفسه عجوزاً متصابيا يشبه قودا قديما كان يتسكع أمام بارات كلوت بيك.. شتاءاً.. وأمام بارات كورنيش الإسكندرية صيفاً..

.. امتعض الأستاذ وقال لصورته فى غضب:
– ما هذا التفاهات ياجزمة قديمة؟! أنت لـــن تـــأكل كـــألف شخص. ولن ترتدى ملابس مائة.. ماذا فعلت بنفسك أيهـــا المنافق الحقير.؟!

.. هدأ قليلاً–وقال لنفسه: ماذا أنت فاعل الآن؟!

.. قالت له صورته التى فى المرأة:
"امنحنى فرصة أخيرة أصحح فيها الأوضـــاع، اللـــه يقبـــل التوبة والروح فى الحلقوم.."

.. ارتدى الأستاذ ملابسه. أنه شخص جديـــد الآن.. خرج من بيته إلى الحديقة.. وجد سائق المرســـيدس فـــى أنتظاره. تذكر بأن هذه المرسيدس كانت هدية مـــن رئيـــس إحدى الدول الخليجية الكبرى. والـــذى اســـتدرج ليتصـــدى

لإيران التى ثورها الخومينى- .عندما صار جيشه قوى لدرجة التهديد لأمن الدويلة المدللة.. فقد أنقلبوا عليه، .هو الذى كان يؤيده ويشيد به مهيبا وحامى حمى البوابة الشرقية.. فحصل على المرسيدس..

.. ولما انقلب عليه مضى مع التيار العام.. مؤيدا لمجموعة دول الخليج الصغيرة، فحصل على "الأم بى دبليو" التى تقف بجانبها..

.. ومع أنه شعر بإنحطاطه.. فلم يكن أمامه إلا أن يستخدم السيارة التى يكون سائقها جاهزا وفى أنتظاره.. شاهد السائق فسأله:

- أى السيارات تسوق؟!
- أسوق الخنزيرة يا باشا..
- والأم بى دبليو..؟
- سعادتك تركتها للمدام..

هز رأسه وكأنه تذكر شيئا، دلف بداخل الخنزيرة. ففى هذه اللحظة كان لايستطيع أن يتذكر الطريق إلى عمله. ترك نفسه للسائق.. يمضى به.. والسائق كان يناديه يا باشا. وهو لايذكر بأنه كان باشا. ظن أن الألقاب قد عادت. والملك أحمد فؤاد «إستعاد عرشه بواسطة الجنرال فرانكو.. ابتسم ..

.. وعندما رفع وجهه إلى مرآة السيارة شاهد السائق يبتسم أيضا..

.. توقفت السيارة أمام باب المؤسسة. .حدثت جلبة سريعة لإستقباله. توجه إلى المصعد خلف رجل طويل كثير الحركة.. صعد به الرجل الطويل إلى مكتبه، وهو يحيه

ويلقبه بالباشا.. لكنه كان يشعر بأن الرجل الطويل يدارى إندهاشا ما.. وهو يتأمل ملابسه.. عندما بدا غريباً أمام ما يشاهده.. سارع الرجل الطويل ليقول:
– سعادتك يا باشا، عودتنا بأن لا تأتى إلى عملك أسبور هكذا. فانله وبنطلون وبنص..

..كان قد وقف على باب الورشة. أنهم الكتبة شبابا وشيوخا. نساء ورجال.. أحصاهم وجد أنهم تسعة عشر.
بادر الرجل الطويل بتقديم اعتذارا نيابة عن إحدى السيدات تختص بالترجمة. لكنه أكد بأنها ذهبت والعمل معها. وستعود به مترجماً بإذن الله– فلم يعلق. وقال له الرجل الطويل:
– هم كتبة سعادتك يا باشا..

غمغم الأستاذ:
– ألم يتم إلغاء الألقاب رسميا.. من أعادها؟

..الرجل الطويل كثير الحركة جمد فى مكانه. لايدرى بماذا يجيب– خشى الأستاذ أن يكون قد فقد ذاكرته والتى كانت متوقدة بالقناع الشفيف..

مدير مكتبه تخلص من جموده وقال:
– لا تؤاخذنى ياباشا. كنت أناديك بيا أستاذ. نبهت علينا بأسلوبك اللبق. بأن الذين يشغلون مناصبك ليسوا أقل من باشا. ورأينا أن هذا يليق بمعاليك كثيرا..

قاطعه الأستاذ وهو يشيح بيده:
– لا.. أستاذ.. أستاذ أفضل.. لاشئ يعلو على أستاذ..

وكان يربت على ظهـــر الرجـــل الطويـــل الـــذى استشعر تواضعا فى شخصية الأستاذ.. أربكه..

وقد أعتاد منه السخط والنتر والكلمات المبتـــورة التى يكون عليه أن يخمن ما تساقط منها.. هذه المره شعر بأن ريح الأستاذ خفيف.. وكأنه ليس هـــو الأســـتاذ.. أنـــه شخص آخر يمت له بصلة قربى

– الأحداث الأخيرة يا..
– خدامك عبد الراضى
– ياسيد عبد الراضى.. ما حدث فـــى المؤسســـة وســـرقة الخزينة..
– أرجو أن لا تكون سيادتك قد تركت فيها أموالا كثيرة..

تنهد الأستاذ وقال:
– لا.. أنها عدة آلاف، نثريات.. أنا لم أذكـــر قيمتهـــا فـــى التحقيق..
– ربنا يعوض عليك يا أستاذ.. قضا أخف من قضا..

****

•• قبل أن يجلس الأستاذ خلف مكتبه تحدث مع عبد الراضى "مدير مكتبه" وهو يتأمل ما على المكتب من أعمال قال:
– اذا كان الكتبة على قوة المؤسسة أرسل لى بمدير شئون العاملين يوزعهم على أعمالهم..

اندفع عبد الراضى حتى جعل فمه فى أذن الأستاذ وقال:
– أنهم أقلامك يا أستاذ.. ما يكتبونه ليس له قيمة. لكن اذا ذيل المقال بإسم سيادتك، تحول إلى آلاف الجنيهـــات. هـــم

سعداء بعملهم معك.. و.. ثلاثة فقط على قـــوة المؤسســـة، الباقون يعملون بالقطعة..

– وأنا.. وأنا عبد الراضى.. ماذا أكتب ؟

– وهل تعتقد أن أحداً من الكبار لديه الوقت الكافى ليكتب ما يكتبونه، أنهم يكتبون لجنـــابك المسلســلات التليفزيونيـــة والأفلام السنيمائية. والقصص الإذاعية المسلسلة. والأعمدة والمقالات والروايات و..

– يا عبد الراضى.. ما الفرق بينى وبين اللصوص؟!

– يا أستاذ.. يا بخت من استفاد وأفاد·نظام الورشة صـــار معترفا به.. أنظر للموضوع من جوانبه المختلفة يا أســـتاذ وأنا تحت أمرك..

.. وأغلق عبد الراضى باب المكتب على الأستاذ وهو لايصدق بأنه يتعامل مع شخص عاقل..

.. وكان عبد الراضى يغمغم وهو يتلفت حوله:

–لاحول ولا قوة إلا بالله..

* * * * * * * * * * * * *

.. تأشيرات رئيس التحرير أحدثت إرتباكا عظيما فى أقسام التحرير،ولدى رؤساء الصفحات،والمحرريـــن. كمـــا عطلت التجهيز فى المطبعة..

.. الأستاذ لم يوافق على تمرير تسعين بالمائة مـــن المقـــالات والمواضيـــع والصـــور والقصـــص والحـــوادث والأخبار.. واللقاءات..

•..وكانت تأشيراته على مــا قــدم لــه متنوعــة وساخرة..•

•"يجب أن يكون لنا موقف.. الموضوع مرفوض."

•"عيب يا أستاذ نؤيد الحكومة على شئ لم تفعله.."

•"صحى النوم يا أستاذ.. لعلك نائم منذ عام ١٩٣٠م.."

• "من أنت.. لتأتى من خلف أسوار الزمــن القديــم وتهــاجم مخترعات ومنجزات العصر وعلومه.."

•"إنى أشم رائحة البترو دولار.."

• "ماذا تعنى بلا.. للعلم والعلمانية.."

• "لماذا لا توجه رفضك للعولمة..

• أنها مرحلة جديدة للرأسمالية الجشعة التى لاتعتد بالفقراء.."

•"نعم للإيمان.. الإيمان بأى شئ يا أفندى.."

•"يحول إلى قسم الإعلانات لتحصيل الفاتورة"

•"هذا جنس ووقاحة. مكانك الغرف المغلقة"

•"عيب يا أستاذ يا محترم.. للثوابت حرمتها"

•"هذا ابتزاز رخيص للفنانات.."..

•"انفتاح وأحزاب.. و ديمقراطية.. تخدعنى أم تخدع نفسك.."

****

.. هكذا ارتبك العمل فى أقسام التحرير..

إذا ماتمت قراءة التأشيرات.. توقف العمل، وبدأ أكـــثر مـــن "محرر" يتصل بالجهات التى يعتقد أنه مسئول أمامها..!

•..والأستاذ أغلق على نفسه باب مكتبه وبدأ يكتـــب مقالا..•

"كان كالطفل الذى يتعلم المشى.. وكان يظن بأن القلـــم لـــن يطاوعه.. لكن بعد عدة محاولات.. إنطلـــق بفعـــل حـــرارة الصدق وما يمور فى نفسه..

.. من السطور الأولى أخذ يشيد بإمكانيات المصريين. وأعتبر هذه الأمكانيات التى لا تتفجر إلا وقت الشدة والضيق من أهم مزاياهم..

.. وأخذ يبرهن على قدرة الشعب على اجتياز المحن..
وأخذ يصور الحالة التى كانت عليها "البلد" قبيل ساعات من انفجار حركة الجيش المصرى..
"من كان يظن بأن الليل سيعقبه فجر.. ثم تشرق الشمس..؟!

.. وأخذ يضرب الأمثال عن المحسوبية البغيضة وإنضاف المتعلمين، والمتسلقين، الذين يبيعون شرف الأمة وعرضها..
ثم راح يلقى بالأسئلة التى تمور فى ذهنه..
– لماذا نجد التافهين فى المناصب المسئولة ويحتلون الصدارة..؟
– كيف نترك الذهب ونتمسك بالصفيح الصدئ ؟
وأختتم مقاله بقوله:

"القلب الضعيف لايضخ الدماء فى الشرايين.."
ثم وضع عدة خطط تجذب إهتمام أهل العلم والرأى والمشورة.. ليتبادلوا فى ديمقراطية مقاعد "الحكم". دون تدخل من عزرائيل.."

.. ودفع بمقاله الوحيد إلى المطبعة..

.. لكن المقال لم يدخل الجمع. سريعا ما تم تصعيده إلى أعلى المستويات.. !

* وبينما السيد رئيس التحرير فى استرخاء سعيد بما أنجزه وبما يستشعره من هدوء نفسى، عاد إليـه المقـال.. بتأشيره عليا.. *

"خائن.. باع نفسه للشيطان.."

وقتها، أضيف أسم "الأستاذ" على قائمة أعدت باعتقال عـدد كبير من أصحاب الرأى، والشخصيات العامة فى مصر. قام "حسنى مبارك" بصفته نائباً للرئيس المغتال بالإفراج عنهم.. واستقبلهم فى القصر الجمهورى.. يطيب خـاطرهم ويسـلم عليهم بيده المربوطة بالشاش الأبيض.

.. إذ أن نائب الرئيس كان قد أصيب إصابات طفيفـة أثناء العرض العسكرى. عندما تحولت المنصة إلى حالة من الفوضى.. وقد أختبأ البعض تحت المقـاعد.. ووابـل مـن الرصاص ينهال على السيد الرئيس محمد أنور السـادات.. إحتفالا بنصر ٦ أكتوبر ١٩٨١. الذى أتـى ملازمـا لعيـد الأضحى المبارك!

****

.. الأستاذ صاحب الأقنعة المفقودة. عندمـا أفـاق، قوبلت إفاقته بالنكران.. ومع ذلك كان يجوس فـى نفسـه شعور بالراحة والطمأنينة وهو يرقب ظهور.. المستفيد من أقنعته.. لكنه.. كان يندهش.. أن عشرات.. بل مئات صاروا يقتنون الأقنعة الشفيفة المتطورة، لذا فقد ركن للهدوء فـى بلدة ريفـية.. يكتب قصصا للأطفال..

****

"تقول الحكاية القديمة "يا أطفالى الأعزاء"

كان يوجد فى أحدى البلاد، ملك جبار- لايقـدر عليـه إلا ربنا- كان للملك الجبار حمار.. واراد الملك الجبار أن يعلم الحمار.. الكتابة والقراءة.. كما البشر، ورصد لذلك جـائزة كبيرة، عبارة عن عشرين ألف دينار.. لمن يعلـم الحمـار

الكتابة والقراءة.واشترط إذا فشل "المعلـــم" بعــد انقضـــاء الخمس سنوات- ورسب الحمار فى الإمتحان.ـأن يعدم ذلك المعلم وتصادر أمواله..

.. وبالطبع يا أطفالى الأعزاء.. جميع المعلمون خشوا النتيجة المعروفة مسبقا. والتى ستؤدى إلى القتل حتما..

.. إذ كيف سيتعلم الحمار القـــراءة والكتابـــة وهـــو حمار؟!

.. ولكن المغامر جحا.. تقدم لشغل هــــذه الوظيفـــة. وتسلم الجائزة الكبيرة.. وأخذ ينفق منها على نفسه وعلـــى أولاده وزوجته..

.. وقد منح الخمــــس ســنوات.. بعدهــا ســيمتحن الحمار.. ومن المؤكد أن الحمار سيفشل وجحا سيقتل- ولما قابله صديق له. سأله فى هلع:
- كيف قبلت هذا الإختبار الذى تعرف نتيجتـــه مســبقا يــا جحا.. هل أنت مجنون؟!
أجاب جحا فى شئ من الهدوء:
- أنا لست مجنونا يا صاحبى.. أنا أخذت المال، وكنت فـــى حاجة شديدة له، سأنفقه على نفسىءوعلى أولادى.. وبعـــد انقضاء السنوات الخمس.. أما أن يموت الملك- أو أمـــوت أنا..
أو يموت الحمار..!
"من يعلم ماذا سيكون غداً.. إلا الله.."

الكاتـــب

- عبد الفتاح مرسى
- ليسانس آداب (تاريخ) -جامعة الإسكندرية-

دبلوم عام من كلية التربية -جامعة الإسكندرية.

- عضو عامل بإتحاد كتاب مصر/عضو بنادى القصة بالقاهرة.

كتب صدرت للمؤلف:

- رواية "على حافة النهار" -سنة ١٩٩٣- الثقافة الجديدة.
- رواية "الدحديرة" -سنة ١٩٩٤- على نفقة المؤلف.
- رواية "المحسوس والملموس" -سنة ١٩٩٥- المجلس الأعلى للثقافة.
- رواية "المقطوع والموصول" -سنة ١٩٩٦- كتاب فاروس.
- مجموعة قصص "شهوة الموقف المتحرك" -سنة ١٩٩٧- دار الوفاء لدنيا الطباعة- الإسكندرية.
- دراسة "الفن فى موكب الوعى" -سنة ١٩٩٨- دار الوفاء لدنيا الطباعة.
- رواية "الليل وجبروته" -سنة ١٩٩٩- دار الوفاء لدنيا الطباعة.
- رواية "الإبحار فى الرمل" -سنة٢٠٠٠- دار الوفاء لدنيا الطباعة.
- المسخوط من سيرة على بلوط - رواية- دار الوفاء لدنيا الطباعة- سنة١٩٩٨
- مجموعة قصص "قبلات محطات السفر" إصدارات هيئة الفنون والآداب -سنة ٢٠٠١.
- مجموعة قصص -العكاكيز- إصدارات- دفقات للنشر المركز المصرى بالإسكندرية -٢٠٠٣
- رواية- نغدا تأكل التفاح -هيئة الكتاب- كتابات جديدة- ٢٠٠٢.
- صدر حديثا رواية "إنعطاف النهر" عن إتحاد كتاب مصر.

الجوائـــــز

- شهادة تقدير وميدالية ذهبية من وزارة التربية والتعليم عن قصتى "الشيال- الحاوى" كتاب عيد العلم عام ١٩٦٠ صـــ١١٠
- فاز بالمركز الأول فى مسابقة المجلس الأعلى للشباب والرياضة فى مارثون القصة القصيرة على مستوى الجمهورية عام ١٩٩٦/١٩٩٧.
- فاز بثلاث مسابقات فى القصة القصيرة على مستوى الإسكندرية وقطاع غرب الدلتا خلال عامى ٩٨/١٩٩٩.
- فاز بالمركز الثانى فى مسابقة الرواية التى ينظمها نادى القصة بالقاهرة لعام ٢٠٠٠/٢٠٠١ "تغدا تأكل التفاح" رواية.
- فاز بالمركز الثانى بقصة -صرصار جاف يتحرك- بنادى القصة بالقاهرة لعام ٢٠٠١/٢٠٠٢.
- فاز بالمركز الأول فى مسابقة الرواية التى ينظمها نادى القصة بالقاهرة لعام ٢٠٠١/٢٠٠٢ -أكثر من عمر- رواية.
- حصل على شهادة تقدير لمجموعة قصص -العكاكيز- مسابقة محمود تيمور بالمجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٣م

فهرست | صفحة

صدر من هذا الكتاب

١. العكاكيز (رواية)

٢. تلطيمة ابن خليل (رواية)